



جامعة الجيلاي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الانسانية (شعبة التاريخ)

انتشار الإسلام في السودان الغربي من خلال كتاب
البكري
القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: دراسات افريقية

إشراف الأستاذ:

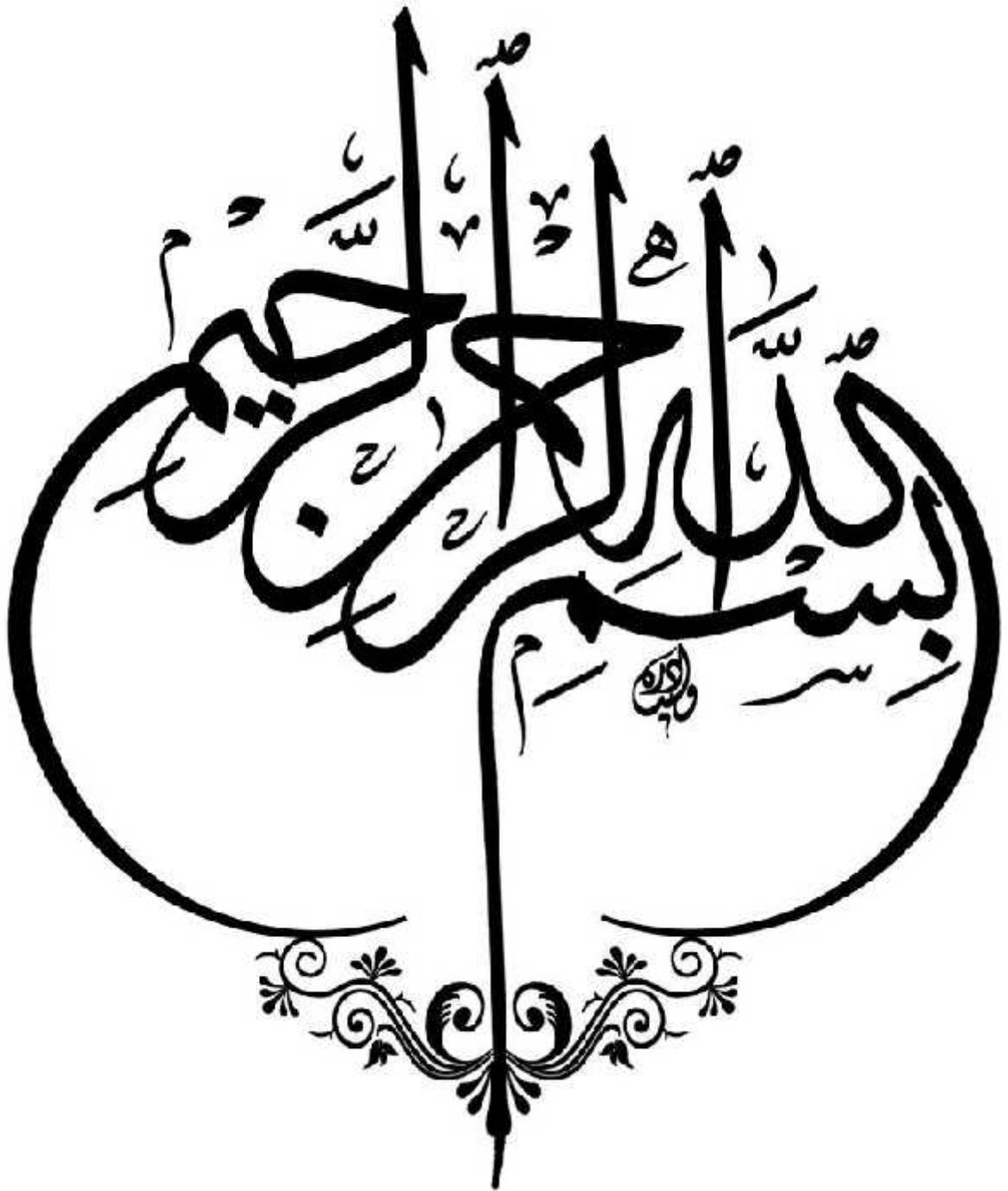
حماتيت عبد الكريم

من إعداد الطالبة:

بولغمان صبرية

السنة الجامعية

2018م/1934 هـ



كلمة شكر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

يسرنا وتحت هذا المقام

أن نتقدم بالشكر الجزيل

إلى كل من أسهم من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف " حماتيت عبد الكريم "

كما لا ننسى استاذ نور الدين شعباني و كل أساتذة جامعة الجبالي بونعامة

خميس مليانة

وكل الأساتذة الذين اشرفوا على تدريسنا

طيلة المسار الدراسي

الاهداء

الحمد لله الذي انعم علينا بنعمة العلم والصلاة على المصطفى النبي الكريم .
اهدي ثمرة عملي في هذه الصفحات الى كل من سهروا معي في سبيل تعليمي
من خطو معي كل خطوة كنت اخطوها ،الى امي الحبيبة اطل الله في عمرها
وحفظها

الاعلى الذي كان له الفضل الكبير في تعليمي.

الى مصابيح البيت ، اخوتي تويبة- منيرة- ياسين خلود
الى كل من كان معي طوال رحلتي في هذا البحث من اساتذة وزملاء بصبر وتوجيه
.

كما اهدي الى جامعة جيلالي بونعامة عامة والى طلبة العلوم انسانية خاصة
دون ان انسى جزيل الشكر الى استاذي نور الدين شعباني وخاصة الاستاذ المشرف
هذا البحث عبد الكريم حماتيت

صبرية

المخلص

ان معلومات اتي اوردها البكري حول الانتشار الاسلام في السودان الغربي،تعتبر اوسع معلومات حتى القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي ، تسمح لنا بقراءة حركة انتشار الاسلام في ضوء جديد، فقد ارتبط انتشاره في السودان الغربي بالتعليم الديني،ولهذا فقد غدا الاثر الروحي هو العميق والغالب في الجماعات الاسلامية،ومن هنا يظهر لنا دور الدعاة في نشر الاسلام بالرغم من كونهم لم يرقون الى درجة العلماء والفقهاء ولكنهم تميزوا بقوة ايمانهم ، وجب عليهم تبليغ هذا الدين،فقاموا يأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر ،كما اورد لنا البكري في مصنفه عن اسلام الملوك السودانيين وهذا ما أدى الى ظهور الحركة المرابطية والتكرور فكلاهما حركتان اصلاحيتان التي توجهت اساسا الى المجتمعات المسلمة وسعت الى نشر الاسلام ،كما تضمنت نصوص البكري ان الملوك الوثنيين كانوا اكثر تسامحا مع المسلمين بالرغم من وثنيتهم،وكانوا يراعون تقاليد غيرهم ،وما يتضح لنا ان المسلمين اثبتو وجودهم في الحياة السياسية والاجتماعية.

مقدمة

يعتبر انتشار الإسلام في السودان الغربي نتاجاً مُثمراً للعلاقات التي ربطت بينه وبين المسلمين بالمغرب الإسلامي، إذ كان اهتمامهم به واضحاً، مردّه الأول كان استكمال مسار الدعوة الإسلامية التي اخذت تشق طريقها عبر الصحراء. واصطلاح السودان الغربي في هذه الدراسة يُعنى به تلك الأقاليم الواقعة من نهر النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن الصحراء الكبرى شمالاً، حتى إقليم الغابات المطيرة جنوباً، إذ تعتبر من أهم مناطق السودان الغربي و الأكثر شهرة بالنسبة للمصادر العربية الإسلامية خاصة الجغرافية منها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر التاريخية في عمومها التي تكلمت عن السودان الغربي قبل القرن الخامس الهجري لم تقدم لنا معلومات مستفيضة عن تاريخه ، و افتقرت إلى التوسيع ، بل و في أحيان كثيرة يتم ذكر حادثة معينة دون الإسترسال في الإحاطة بها أكثر، عكس المؤلفات الجغرافية التي انتظمت معلوماتها المُقدمة نتيجة لأمرين:

أولاً: المنهج المتبع في التأليف عن الأقاليم، إذ قسم الجغرافيون العرب العالم إلى أقاليم، ثم أبرزوا معالم و مظاهر كل إقليم بذكر المسالك والطرق المؤدية إليه، والتي تربطه بأقاليم أخرى، السكان وعاداتهم ، الملوك وسيرتهم في الناس، يضاف إلى ذلك الديانة السائدة ،و ذكر تفاصيل عن الحياة الإقتصادية في ذلك الإقليم .

ثانياً: نشير إلى فضل التجار والرحالة على الجغرافيين ، فقد اعتمدوا على رواياتهم لتسجيل المعلومات التي تخص منطقة غرب إفريقيا .

و من أشهر هؤلاء الجغرافيين الذين ذاع صيتهم في القرن الخامس الهجري نذكر ابوعبيد الله البكري(427هـ/1094م) في مؤلفه الشهير **المغرب في ذكر أخبار إفريقية و المغرب ،** و هو جزء من كتابه المسالك و الممالك حيث استرسل

الكلام فيه عن السودان الغربي مركزا على طرقه و مسالكه، و دور تلك الطرق في تقوية الصلات الحضارية مع المسلمين في شمال إفريقيا ، و لعل أكثر ما يهمننا هو رصد البكري لمسار انتشار الإسلام في السودان الغربي من خلال تتبعه لحركة المرابطين وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام، وانطلاقا مما جسده نصوص البكري عن هذا الموضوع جاءت دراستنا موسومة ب: **انتشار الإسلام في السودان الغربي**

من خلال كتاب البكري

أسباب إختيار الموضوع:

أسباب ذاتية:

1/ الميول الشخصي للدراسات الافريقية المتعلقة بجنوب الصحراء في العصر الوسيط خاصة مرحلة انتشار الإسلام و رغبتني في معرفة سبل انتشاره بين قبائلها

أسباب موضوعية:

1/ في مقدمتها الرغبة في إنجاز دراسة تاريخية تتناول موضوع انتشار الإسلام في السودان الغربي، و أثر ذلك في تكوين الشخصية الجديدة لهذه الشعوب التي كان لها بليغ الأثر في نشر الثقافة العربية و الإسلامية

2/ التتبع الكرونولوجي لمسار الدعوة الإسلامية ببلاد السودان الغربي من خلال كتاب البكري ، الذي يعتبر من أهم المصادر التي أرخت لتاريخ المرابطين و حركتهم عبر الصحراء .

كيف أبرز دورها الفعال في تعميق التواصل الحضاري بين الشمال الإفريقي و غرب إفريقيا على مختلف الاصعدة خاصة الجانب الديني و الثقافي ، و قد غطي الكثير من الثغرات المرتبطة بندرة المعلومات الخاصة بفترة بداية المرابطين و الممالك الإسلامية و هنا تظهر أهمية الموضوع اولا بالنسبة لتاريخ المنطقة و تأثيره عليها ،

ثانياً الوقوف على ما تم تناوله في المؤلفات التي اهتمت بالتسجيل لمنطقة السودان الغربي.

الإشكالية :

تم صياغة الإشكالية على النحو التالي: كيف تناول أبو عبيد البكري في مؤلفه المغرب في أخبار إفريقية و المغرب موضوع انتشار الإسلام في السودان الغربي ؟
اندرجت تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها :

1/ ما الجديد الذي أضافه البكري في مؤلفه و أدى إلى تمييزه عن غيره من مؤلفين الذين اهتموا بالتسجيل التاريخي عن السودان الغربي ؟

2/ ما هي الأساليب المتبعة التي مكنت للدعوة الإسلامية بالسودان الغربي ؟

3/ كيف ساهم الإسلام في بناء الصورة الحضارية الجديدة لمجتمعات السودان الغربي و تكوين ممالكه الإسلامية ؟

المنهج المتبع :

و لإبراز قيمة هذه الدراسة تم الإعتماد على المنهج التاريخي من أجل تتبع مسار الأحداث، التي أوردها البكري في مصنفه و المتعلقة بسبل انتشار الإسلام و عوامل ذلك، و كذا الربط بين المسببات و النتائج ، و المنهج الوصفي التحليلي القائم على النقد والشرح والإستشهاد من أجل التعرف وفهم النصوص التي تطرق إليها في كتابه مع تقديم بعض التحليلات والملاحظات من أجل الاجابة على التساؤلات السابقة الذكر، إضافة إلى المنهج المقارن بين كتابة البكري وبعض المصادر التي تناولت فترة الدراسة

التصميم المنهجي

تم هيكلة الخطة كالتالي:

بداية مع مقدمة لتوضيح النسق العام للموضوع ، ثم الفصل الأول الذي تضمن التعريف ابي عبيد الله البكري ،مولده،نشأته، شيوخه، ثم قمنا بالتعريف بكتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب الذي هو جزء من كتاب المسالك والممالك مع ذكر اهم مؤلفاته ، يضاف الى ذلك المنهج الذي اتبعه في كتابه ،مع ذكر بعض اراء المؤرخين وبعض صفاته التي اتسم بها خاصة العلمية والأدبية .

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه الى كل ماجاء في كتاب البكري حول الاسلام في السودان الغربي و تم تقسيمه إلى اربعة عناصر تحدثت في العنصر الاول عن المرابطين ودورهم في نشر الاسلام ، و في العنصر الثاني تناولت الاسلام في بلاد التكرور التي اسلم اهلها على يد احد ملوك الملقب بالورجابي واسلام في سلى . اماالعنصرالثالث فخصصته للإسلام في غانة عالجت فيه اهم المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وعن اسلام ملوكها ،وعن محاولة غزو المرابطين لبلاد غانة ،و في العنصر الرابع تطرقت فيه الى الاسلام في مالي ،واسلام ملوكها على يد احد الضيوف .

جاء الفصل الثالث عبارة على نقد وتقييم اولا الى ما تميز به البكري عن غيره حين تناول دور بربر صنهاجة في نشر الاسلام و دور السود في نشر الاسلام بالإضافة الى التعايش بين المسلمين والوثنيين في بلاد السودان ،وثانيا تحدثنا عن ما مدى تأثر البكري بكتابات وروايات غيره .

فيما يخص الدراسات السابقة وعلى حسب اطلاعي المتواضع لم اعثر على دراسة اكاديمية سابقة ماعدا مقال كان لعز الدين عمر موسى المعنون ب البكري مصدر لانتشار الاسلام في غرب افريقيا كان عبارة عن بحث مقدم في مؤتمر الدولي للاسلام في غرب افريقيا .

المصادر و المراجع المعتمدة :

لدعم هذه الدراسة اعتمدت على أهم المصادر التي اهتمت بذات الموضوع من بينها: الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الذي حدثنا على الدولة المرابطية المماثلة نشاتها عند البكري،بالاضافة انه استدرك عليه اهم تطورات التي عرفتها الحركة المرابطية في الصحراء و بلاد السودان بعد العام الذي توقف فيه البكري، إضافة الى الإدريسي في مؤلفه نزهة المشتاق في إختراق الافاق الذي أفادني بمعلومات مهمة تخص القرنين الخامس و السادس هجريين.

و يعتبر كتاب الحلل الموشية لصاحبه المجهول من أهم المصادر رغم تأخره الى القرن الثامن للهجرة إلا ان ما ميزه هو اعتماده على كتاب مهم يزامن كتاب البكري و هو كتاب الانوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية لابن الصيرفي هذا المؤلف الذي اهتم للتاريخ للدولة المرابطية منذ بداياتها الأولى .

اما المراجع اعتمدت على اهمها عصمت عبد اللطيف دندش ساعدتنا في دور المرابطين واسلام في غانة بالاضافة الى مجموعة من المقالات اهمها منهج البكري في كتابة كتابه المغرب في ذكر افريقيا والمغرب

الصعوبات :

مما لا شك ان لكل بحث نقائص الناجمة بالدرجة الاولى عن الصعوبات التي يتلقاها الباحث في مرحلة بحثه، متبينا صعوبة التعامل مع المصادر و السبب الثاني عدم تحصيلي على مصدر مهم يتزامن مع البكري و يؤرخ لجهود المرابطين في الدعوة بالسودان الغربي و هو كتاب الانوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية للصيرفي .

وفي الاخير اتقدم بخالص الشكر و العرفان الأستاذ المشرف عبد الكريم حماتيت على مجهوداته و الذي افادني بنصائحه و آرائه السيدة في انجاز هذه المذكرة

وبقائه متابعاً لي طوال فترة البحث ، كما لا يفوتني شكر الأستاذ نور الدين شعباني على تشجيعاته وتوجيهاته ، و كل امتناني لأساتذة الدراسات الإفريقية وأعضاء اللجنة المناقشة لموافقهم قراءة هذا العمل و مناقشته من أجل إثرائه و في الأخير نسأل الله التوفيق فإذا وُفِّقْتُ فهذا مُبتَغاي و مَطْلبي ، وإن أخطأت فمن نفسي ، ومن الله التوفيق .

الفصل الأول

1-اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن عبد العزيز بن عمرو البكري المشهور بكنيته «ابو عبيد»¹، مؤرخ جغرافي أندلسي ، ثقة، علامة بالأدب له معرفة بالنبات ينسب الى قبيلة بكر بن وائل بن قاسط بن وهب بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد التي كان لها شان بين القبائل العربية في غربي الاندلس².

2-مولده ونشاته:

نشأ البكري في أسرة أندلسية ذات أصالة ونباهة وشرف ورئاسة ،فقد شغلت أسرته العديد من المناصب المهمة في الأندلس فقد تولى جده محمد بن أيوب في سنة 398هـ الموافق ل1013م منصب القضاء في ولبة،³ والولاية على شلطيث⁴، ولما توفي جده اصبح والده اميرا عليها، واستمرت اقامته في شلطيث الى ان بادره المعتضد عباد

1 ابي عبيد الله البكري، كتاب المسالك والممالك، ت ح، اندريان فان ليون، اندري فيري، دار العرب الاسلامي، 1992، ص7،

2 خير الدين الزركلي ،قاموس تراجم لاشهر رجال و نساء من عرب و المستعربين و المستشرقين،دار العلم،ج2، ط15، 2002، ص71،

3 ولبة:وهي مدينة حسنة ازلية متوسطة القدر ولها سور منيع وبشرقيها نهر ياتيها من ناحية الجبل ويجاز عليها سور من الحجارة وبها اسواق وصناعات وهي مطلة على نهر شلطيث ،انظر:شكيب ارسلان،الحلل السندسيةفي اخبار نوالاثار الاندلسية،ج1، ص64

4 شلطيث: بفتح اوله،وسكون ثانيه،وكسر الطاء، واخره شين،بلدة بالاندلس صغيرة في غربي اشبيلية على البحر انظر ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي،معجم البلدان،دار الصادر بيروت، الجزء 3، ص359.

التعريف بابي عبيد البكري

فاستولى على ولبة و اجلاه من شلطيث صلحا و فر سرا الى قرطبة،¹ و كان البكري برفقة والده سنة 443هـ الموافق ل1058م ثم سار الى المرية،² و فاصطفاه صاحبها محمد بن معن لصحبتة ووسع راتبه كما اهلته موهبته الادبية المتنوعة للعمل كوزير لصاحب المرية ماجعل بعض المؤرخين بنعته بالوزير .
لما بسط المرابطون نفوذهم على الاندلس سنة479هـ الموافق ل1086م،³ استقر في قرطبة،التي كانت تحكمها أسرة بني جهور وتوفي بها سنة 487هـ الموافق ل 1094م ودفن في مقبرة ام سلمة .

3-شيوخه:

¹ قرطبة:وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادها وكانت سريرا لملكهاوقصبتها وبها كانت ملوك بني امية ومعن الفضلاءومنعب النبلاء من ذلك الصفح وبينها وبين البحر خمسة ايام وقال ابن حوقل وكان طرق تلك تلك البلاد في حدود سنة350 فقال:واعظم مدينة بالاندلس قرطبةوليس لها في المغرب شبيهه في كثرة الاهل وسعة الرقعة ويقال انها احدى جانبي بغداد ولم تكن كذلك فهي قريبة منها وهي حصينة بسور من الحجارة ولها بابان ولها نفس السور الى طريق الوادي من الرصافة والرصافة مساكن اعالي البلد متصلة باسافله من ريضها وابنيتها مشتبكة محيطة من شرقيها وشماليها وغربها وجنوبها فهو الى واديها وعليه الرصيف المعروف بالاسواق،انظر: الحموي،المصدر السابق،ج4، ص 324

² المرية:مدينة شيدها الخليفة الناصر في الجنوب الاندلسي على البحر المتوسط وذلك سنة 344 هـوذكرها الجغرافي الحميري بقوله بالاندلس مدينة محدثة امر بينائها امير المؤمنين الناصر، انظر:محمد بشير حسن راضي القامري،تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامي،جامعة بغداد،ص109

³ معركة الزلاقة :وقعت المعركة بعد سقوط مدينة طليطلة بيد الاسبان ،اذ ازداد خطر الاسبان على الاندلس ونتيجة لذلك قرر امراء الطوائف وخاصة المعتمد بن عباد امير اشبيلية دعوة المرابطين من اجل رد خطرالاسباني وكان بعد سقوط طليطلة بثلاثة اشهر ،وكانت نتيجة تلك الدعوة هي عبور امير المرابطين يوسف بن تاشفين بقواته الى الاندلس سنة 478 هـ/1086 م ،من اجل ارجاع مدينة طليطلة الى حظيرة الدولة الاسلامية وقد انضمت جيوش الطوائف الى جنب جيوش المرابطين وساروا نحو سهل الزلاقة شمال بطليموس وهذا الوقت كان الفونسو السادس ملك قشتالة محاصر لمدينة سرقسطة عندئذ ترك الحصار وسار نحو بطليموس وبعد استعدادات عسكرية من قبل الطرفين وقعت المعركة وقعت المعركة في يوم الجمعة 12 رجب من سنة 479 هـ/1086 م،انهزمت فيها قوى الاسبان وطعن الفونسو وهرب نحو مدينة طليطلة ،انظر:اسامة عبد الحميد حسين السمرائي،دولة الموحدين ،دار الكتب العلمية،ص119

التعريف بابي عبيد البكري

تلقى البكري علومه و دراسته على يد طائفة من الشيوخ الذي أخذ عنهم ما بين قراءة وسماع وقد ذكرت كتب التراجم أسماء شيوخه وسنذكرهم تفصيلا لأن هذا يبرز بيئة البكري الثقافية وإظهار ما بلغه من جهد في تحصيل العلم.

أ. **ابن حيان** : هو حيان بن يخلف بن حسين، في التاريخ بن حيان الاموي بالولاء أبو مروان، مؤرخ بحاث من أهل قرطبة كان صاحب لواء التاريخ في الاندلس افصح الناس بالتكلم فيه واحسنهم تنسيقا له من كتبه المقتبس في تاريخ الاندلس وله المبين ايضا اكبر من المقتبس وكتاب التراجم الصحابة، وهو من شيوخ البكري حيث كان يثنى عليه كثيرا وحباه منزلة عالية ومكانة كبيرة وذكره في شعره¹.

ب. **أبو العباس العذري** : هو أحمد بن عمر بن انس بن دلهاث بن انس بن فلهذان بن عمران بن منيب بن زغبة ابن قبة، ولد في بلدة دلالية وعاش في مدينة المرية ثم رحل مع أبويه الى المشرق سنة 407هـ، فوصل الى مكة وكما كان مولده فيها ، وسمع منه أبو عبد الله الحميدي و أبو عبيد الله البكري وجماعة من الاعيان².

ج- **المصحفي** : هو أبو بكر بن محمد بن هشام وهو من أهل قرطبة و له معرفة كثيرة وواسعة بالحديث و الأخلاق مثابرا في المطالعة وهو مؤرخ وجغرافي فقيه وله دور كبير في تكوين شخصية البكري التاريخية والعلمية.

د -**الجدامي**:حكم بن محمد وهو من اهل قرطبة يكنى ابن العاص وكان رجلا صالحا طيب السمعة متين الديانة .

4-تلاميذه:

1 خير الدين الزركلي،المصدر السابق،ج2،ص289

2 ياقوت الحموي،المصدر السابق،ج2،ص461

التعريف بابي عبيد البكري

تتلمذ على يد البكري عدد من التلاميذ منهم :

أ. محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن كميل بن عبد العزيز بن ماون يعرف بابن المرخي يكنى ابو بكر من اهل اشبيلية،¹ قال عنه ابن بشكوال،² كان حافل الادب ،قديم الطلب ،عالما باللغة العربية ومعاني الشعر كاتباً بليغاً مجيداً روى عنه ابي علي الغساني و ابي عبيد البكري توفي سنة 536هـ الموافق ل1141م .

ب محمد بن معمر اللغوي المالقي كان حيا سنة 524هـ الموافق ل1139م،³ يكنى ابا عبد الله يعرف بابن اخت غانم ،عالم النبات لأبي حنيفة الدينوري في ستين مجلد انفراد برواية عن البكري و الحافظ شمس الدين الذهبي

محمد بن الحكم بن محمد بن احمد اللخمي، فقيهاصولي، متكلم، نحوي، لغوي، مقري، مجود، سكن غرناطة ثم المدينة فاس ،شرح ايضاح لابي الفارسي ومصنفان كبير وصغير في الجدل .

5- التعريف بكتاب البكري:

يعتبر كتاب المسالك و الممالك الذي الفه سنة 460 هـ .1068 ساهم بشكل كبير في شهرة البكري فيعتبر قمة في الأعمال و هو في نفس الوقت قمة في الإنتاج الجغرافي الأندلسي و ان لم يكن التاريخ الإسلامي كله فهو يحتوي على الكثير من المعلومات التاريخية و هو يعتبر اولى الجغرافيين في الأندلس ،و للبكري العديد من المؤلفات و الكتب منها كتاب المسالك و الممالك 'الذي طبع منه جزء بإسم المغرب في ذكر افريقيا و هذا هو الموضوع فهو يعتبر مصدرا اساسيا للفترة التي عاشها خاصة في بداية الدولة المرابطية في المغرب، فالبكري لم يكتب كتابه هذا وصفا لرحلة قام بها او مشاهدات قام

1 ساجد مخلف حسين، البكري حياته ومنهجه في كتابه المسالك والممالك، جامعة تكريت، سمراء ، ص75

2 ابن بشكوال، كتاب الصلة، ج، ابراهيم الهواري، دارالكتب المصرية، ج1، ط1، ص456

3 ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج، شوقي ضيف، دائرة معارف، ج1، ط2، ص334

التعريف بابي عبيد البكري

بها او اطلع عليها فهو لم يزر المغرب ابداء، بل اعتمد على معلومات التي حصل عليها في الأندلس،¹ فقد قسم البكري كتابه المغرب الى ثلاثة اجزاء :

- ا. وصفه للمنطقة الواقعة بين مصر و برقة ،وتتضمن وصف للواحات المغربية
- ب . بلاد افريقية وقد اشار اليها البكري كوحدة افريقية طولها من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة موريطانيا وعرضها و عرضها من البحر الى الرمال التي هي اولاً بلاد السودان وهي جبال ورمال العظيمة متصلة من الغرب الى الشرق
- ج . بلاد السودان فذكر منها مدنها المشهورة والمسافات بينها وما فيها من الغرائب وسير اهلها وقد بين البكري لنا ان الرمال هي الحد الفاصل بين بلاد الاسلام في افريقية والمغرب وبين بلاد السودان ثم ذكر مدينة زويلة و انها اول حد بلاد السودان ووصف الصحراء المحيطة بها وفي غرب الاقليم ذكر مدينة نول وهي اخر بلاد السودان .²

6- مؤلفاته:

لقد خلف البكري عدد من المؤلفات من بينها كتابين في الجغرافيا إحداهما كتاب المسالك والممالك ،و «معجم ما استعجم» فهذا الكتاب عبارة عن معجم مرتب حسب أسماء الأماكن المذكورة في القرآن والحديث والشعر العربي، اما عن كتاب المسالك فقد جمع المؤلف مواد من كتب معظمها الآن مفقودة ،و أضاف الى ذلك ما جمعه من معلومات من مصادر اخرى وهذا الكتاب الجليل لم يصلنا منه الاجزاء الذي يشمل على وصف الاندلس و افريقيا الشمالية و بلاد السودان،³ و عن معجمه الجغرافي فهو كتاب لغة قبل كل شيء،⁴ و قد اشتهر البكري بهذا الكتاب وهو من المؤلفات الجغرافية المعروفة بقضية وصف للطرق والمسافات بين البلدان وغيرها وهو موضوع لبحثنا وقد الف العديد من الجغرافيين

¹ - زمان عبيد وناس، مرجع سابق، ص312.

² - تقي الدين الدوري، خولة شاعر الدجيلي ، تاريخ المسلمين في افريقيا، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي، ط1، 2014، ص،189.

³ - احمد الشكري، الاسلام والمجتمع السوداني، امبراطورية مالي، ابو ظبي، ط1، ص26.

⁴ البكري، المسالك والممالك، ص12 -

التعريف بابي عبيد البكري

كتب سميت بنفس الاسم وكان قد انتهى تأليفه للكتاب في سنة 460 هـ الموافق ل1067 م في المرية .

(1) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والموقع :وهو اول كتاب ألفه في المرية وذكر الغرض من تأليفه ،فهو معجم تناول فيه الاماكن والمدن والمواقع و أعطى ضبطا للأسماء المواضيع والتعرف بها وتحديدتها وذكر ساكنيها فقد ذكر فيه جملة ماورد في الحديث و الاخبار و التواريخ و الاشعار من المنازل و الديار و القرى و الامصار و الجبال و الاثار و المياه و الأبّار و الدارات والحوار.منسوبة محددة ومبوبة على حروف، فاني لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس , ارادت ان افصح عنه بان اذكر كل موضع مبينا البناء معجم الحروف حتى لا يدرك فيه لبس او تحريف.¹

طبع الكتاب ثلاثة طبعات:²

1- الطبعة الأولى:قام بتحقيقها فرديناند فستنفذ طبعة حجرية في مجلد ين اصدر اولهما سنة 1876 و الثانية 1877 في جون تجن في المانيا.

2-الطبعة الثانية :قام بتحقيقها مصطفى السقا في اربعة اجزاء في القاهرة سنة 1945.

3 - الطبعة الثالثة:حديثة تحقيق جمال طليبية دار الكتب العلمية بيروت 1998.

كتاب لإحصاء لطبقات الشعراء ذكره الزر كلي وأعلام النبوة وشرح امالي القالي وهو شرح على كتاب وتنبيه على اغلاط ابي القالي في اماليه فطبع فصل المقال في شرح امثال لابن سلام .

منهج البكري في كتابة كتابه للمغرب في ذكر افريقيا والمغرب :

¹البكري،معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع، د ط، ص2-

²خير الدين الزركلي ، مصدر سابق ، ج4، ص 94.-

اتسم منهج البكري بالدقة و الموضوعية فقد حرص على ذكره للأخبار بشكل متسلسل وواضح فقد عرضها علينا بشكل سهل ومبسط لكي يفهمها القارئ، فقد كان له أسلوب خاص يميزه وعن غيره وعليه فقد تميز بمقدرة لغوية و أدبية وشعرية وجغرافية وتاريخية .

ا. ذكر البكري للآيات القرآنية:

استشهد البكري بآية قرآنية ذكرها في سياق كلامه «ان رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب عندهم فقال التاجر في بعض مراجعته حاش لله ان يكون ذلك فأمر عبد الله بضربه وقال: لقد قال كلاما فضيحا وقولا شنيعا يوجب عليه اشد الأدب¹ اي ذكر ما شذ به عبد الله بن ياسين من احكام وكان بالحضرة رجلا قيروانيا فقال لعبد الله «وما تتكر من مقالته» وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم في سورة يوسف، في قصة النساء التي قطعن ايديهن وقال «حاشا لله ما هذا بشر ان هذا إلا ملك كريم»².

ب- ذكره للأحاديث النبوية:

كان البكري مقلا في ذكره لأحاديث النبوية فانه يورد لنا مجموعة من الاحاديث عن ذكره لبعض المدن او القرى في المغرب، فيقول في ذلك «بقرية جب خرب قال محمد اخبر بعض الاسكندرانيين ان رسول الله قال من كثرت ذنوبه فليلقي لوبيا وراء ظهره»³. ويورد لنا حديث فقد روى جماعة من سحنون بن سعيد وموسى بن معاوية جميعا عن ابي وهب عن سعيد بن ابي ايوب عن شرخيل بن سويد عن ابي عبد الرحمان الحبلي قال «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ففقلوا فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شدة برد اصابعهم فقال رسول الله لكن افريقية اشد بردا وأعظم أجرا»، وقد روى البكري في حديث اخر حيث قال «حدثني عبد الله بن حسان عن عبد الرحمان بن زياد بن انعم عن ابي عبد الرحمان الحبلي قال رسول الله ينقطع الجهاد عن البلاد كلها فلا

التعريف بابي عبيد البكري

يبقى إلا بموضع في المغرب يقال له افريقية بينما القدم بإزاء عدوهم نضروا الى الجبال قد سيرت فيخرجون الله تبارك و تعالى سجدا فلا ينزع عنه اخلاقهم إلا خدامهم الجنة»¹.
ج- **ذكر البكري للشعر**: كان البكري كثير الاستشهاد بابيات الشعرية فكانت كلها تخص بلاد المغرب ونخص بعض المدن بلاد المغرب ونواحيها وأناسها فهي لا تقل اهمية عن مادته التاريخية كما يمكن للبكري ان يكون له يد في نظمها ومنه جاء ذكره لأهل السرت من خلال ابيات شعرية يصف فيها سوء معانات المعاملات التجارية ويقوم بهجائهم فيها الشاعر فقال:

عبيد قرلة شر النوايا معاملة واقبحهم فعلا
فلا رحم المهيمين اهل السرت ولا سقاهم عذبا زلالا².

استشهد البكري بابيات من الشعر لما منع الامير اباهيم بن احمد بن اغلب من منع بيع النبيذ في مدينته القيروان و اباحه في مدينة رقادة³، فقال :

يا سيد الناس و ابن سيدهم ومن اليه الرقاب منقادة
ما حرم الشرب في مدينتنا و هو الحلال بأرض رقادة

ولما قام بمحاضرة سوسة ابو زيد مخلد و انهزم عنها قام بإيراد ابيات من الشعر للشعر سهل بن ابراهيم الوراق قال :

إن الخوارج صدها عن سوسة منا طعان السهر و إقدامهم
وجلاد اسياق تطاير بينها في النفع دون محصنات الهام⁴.

و من ابيات اخرى التي ذكرها ما قاله بكر بن حماد يصف فيها برودة تيهرت و كثرة ثلوجها و غيومها و قال :

ما اخشن برد و ريعانه و أطراف الشمس بتيهرت

¹ زمان عبيد وناس ، المرجع السابق، ص308.

² .6.

³ - : بلدة بافريقيا بقرب القيروان، كثيرة البساتين، ليس بافريقيا اعدل هواء ولاطبيب نسيم، انظر : زكريا بن محمد القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص159.

⁴ .35.

كأنها تنتشر من التخت

تبدو من الغيم إذا ما بدت

تجري بنا الريح على السم. ¹

فنحن في بحر بلا بجة

د. ذكر البكري للأمثال:

أورد البكري في كتابه المغرب في ذكر إفريقيا أمثالا قيلت في عدة أعراض مختلفة و منها ذكره لفحص سفوجين،² : «فحص سفوجين يصيب سنة في السنين» و هذا المثل يدل

على أن المحاصيل الزراعية في طرابلس تبلغ بعض المحاصيل السنين مائة.

تميز منهجه بالمنهجية الموحدة فهو لم يكن مجرد ناقل وانما كان متصرفا فيما ينقله متوخيا الدقة والصدق.

لقد كان لكتاب المغرب أهمية كبيرة ويرجع سبب تأليفه لها أنه كان من اجل ارضاء مطالب الادارة الحكومية في قرطبة ولكنه لا يخلو من استطرادات ممتعة كما يتضمن احيانا وثائق مهمة وهذا يعني ان البكري كان له الحق في ان يطالع على سجلات الحكومية.³

اعتمد البكري في تقديم مادته العلمية عن كتابه المغرب في ذكر افريقية اذ ركز على ذكره للمدن والمراسي مع وصفها وصفا دقيقا مع معلومات عن تاريخها وبنائها وسكانها وآثارها كما تطرق الى ضبط المسالك وقياس المسافات وذكر المحطات والحصون، ذكره الى مصادر المياه بالنسبة لشرب السكان مع التركيز على انهار والمحيطات كما ذكر الزراعات والصناعات والمعادن كما قام بوصف احوال المعاش لدى السكان مدن والقرى. فمن خلال ذلك فإننا نلاحظ ان منهج البكري تميز في المغرب بأنة جغرافيا متكامل بحيث انه يصف لنا منطقة من كامل الجوانب الحضرية والدينية والاقتصادية والاجتماعية فقد كان دقيقا في وصف رواياته.⁴

¹ - 4، ص 67.

⁵ - 9

³ - زمان عبيد وناس، المرجع السابق، ص 309.

⁴ - نفسه، ص 312.

صفاته وبعض اراء المؤرخين فيه:

اتصف البكري ببعض الصفات والسجايا وقد ذكرت المصادر التاريخية التي تناولت حياته هذه الصفات التي برزت من خلال مصنفاته فانه كان كثير الاطلاع غزير الحفظ واسع الرواية ومن خلال النصوص الكثيرة التي اوردها مؤلفاته فإنها وان دلت فهي تتمتع بقدر واسع من الاخلاق العلمية، كالتواضع، والحذر والثبات لذا نراه صابرا في تتبع طرق العلم والآداب والتاريخ وقد اطنبت المصادر في ذكره من خلال بعض اقوالهم فعن ابن بسام يذكر،¹ انه كان بأفقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان وأولهم بالبراعة والإحسان ابرعهم بالعلوم طلقا وانصحهم في المنظور والمنثور انقا كان العرب استخلفته على لسانها او الايام ولته زمام حدثناها ووصفه الزركلي،² بعبدة اوصاف فقال لمؤرخ جغرافي، علامة بالأدب، له معرفة بالنبات وقال عنه الذهبي {اماما لغويا اخباريا متقنا كان من اوعية العلم وبحور الادب} وقال حسن المؤنس،³ {كان عالما لغويا ومؤرخا ونباتيا وشاعرا} وقال عنه ابن سعيد المغربي،⁴ {كان شاعرا وعالما في اللغة والجغرافيا} فقد اولى البكري عناية فائقة بالكتب هذا دليل على معرفته قدر العلم وفضله فقد كان يلفها فوق الجلدة بقطعة من النسيج اكراما لها، فحبه للمطالعة ساهم بشكل كبير في تكوين شخصيته فقد تلقى البكري علومه في قرطبة و اتم دراسته فيها على اشهر علمائها وكما ساعدته في ذلك موهبته وكفايته المادية وقد نبغ في العلم.

1. ابن بسام ابي الحسن علي بن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدراني، دار الكتب العلمية بيروت، 1998، ج2، ص144

² - الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص98 .

³ - حسين المؤنس، اطلس تاريخ الاسلام، الزهراء للاعلام العربي، ط1، ص183

⁴ - ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيات ح اسماعيل عربي، مكتب التجاري لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970، ص43 .

الفصل الثاني

1- دور المرابطين في نشر الإسلام:

تعتبر قبائل صنهاجة من اقوى قبائل البربر, وانهم شعب تتضوي تحته سبعين قبيلة وأشهرها لمتونة ، جدالة ولمطة ومسوقة ويرجع نسبهم الى صنهاج من ولد عبد الشمس بن وائل بن حمير¹.

اشتهرت القبائل الصنهاجية باسم الملتمين وهم ينتسبون الى قبيلة لمتونة،² وقد كان لإسلام الملتمين اثر بالغ في تاريخ المغرب، ما أدى إلى قيام تحالف قوي بين قبائل صنهاجة اللثام وكان هذا الحلف بزعامة لمتونة فجاهدوا جيرانهم من السودان ويرجع الفضل إلى تيولوتان زعيم هذا الحلف الذي استطاع إن يوحد هذه القبائل ويوجهها للإسلام ونشره في السودان الغربي³، و دان له ازيد معظم ملوك السودان وقامو بدفع الجزية، فيذكر كل من البكري وأبي زرع الفاسي،"انه ملك الصحراء بأسرها ودان له ازيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدون له الجزية وكان عمله مسيرة شهرين في مثلها عمارة يمتد في مائة الف نجيب"،⁴ وعليه فقد سيطرة على كامل الصحراء بأسرها و طالت أيامه نحو ثمانيين سنة حتى توفي سنة 222هـ الموافق ل836م فولي بعده حفيده الأثير بن افطر فقام بأمر صنهاجة إلى ان توفي سنة 287هـ الموافق ل900 م،⁵ ثم بعد تميم ولد مدة 120 سنة 306هـ الموافق ل918 وبعد ان افتقرت كلمتهم وضاعت كثير من تعاليم الدين واستمر شتاتهم مدة 120

¹ ابن أبي زرع الفاسي، الأنييس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط 1972، ص ص 119_120_ ابن الخطيب، الحلل الموشية في إخبار المراكشية، ص 7.

² -علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرا للنشر وترجمة، ط1، ص 9

³ -عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الاسلام، ت ح، ابي بكر العربي، دار العرب الاسلامي، ط1، 1988، ص 52.

⁴ - أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب مسالك و الممالك، ص195، ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 120، 121.

⁵ -عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق ص53

سنة إلى ان قام فيهم الأمير ابوعبد الله محمد بن تفاعوت اللمتوني المعروف بتارشني،¹ الذي وحدهم والذي كان من اهل الفضل و الدين والصلاح والجهاد فاقام اميرا على صنهاجة مدة ثلاثة أعوام إلى ان استشهد وهلك بموضع يقال له فنغازة من بلاد السودان .

على الوثنيين فيذكر البكري في ذلك انهم قبائل مسلمون يعرفون بني الوارث من صنهاجة وهم قوم صالحون على السنة متمسكون،² ولما توفي الامير أبو عبد الله بن تيفافوت اللمتوني ولي أمر صنهاجة بعده صهره يحي ابن إبراهيم الكدالي .

ويعتبر الأمير يحي ابن إبراهيم صاحب الدور الكبير في نشر فكرته حول توحيد صفوف قبائل المثلثين وتصحيح عقيدتهم وتفقهم في أمور دينهم وقد استمر الأمير يحي على طريقة اسلافه في حركة الجهاد في السودان ومنه ارتحل إلى المشرق لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه وكان قد استخلفه ابنه إبراهيم يحي على رئاسة صنهاجية اللثام. وعند عودته مر بالقيروان فلقى بها الفقيه الصالح أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي يدرس العلم فجلس إليه وسمع منه فأعجب به أبا عمران الفاسي فوجده محبا للخير وخاصة حرصه على تعلم شرائع دينه فسأله عن اسمه وبلده ونسبه وأخبره بذلك وأعلمه سعة بلاده وما فيها من الخلق وما ينتحلون من المذاهب؟ فقال له يحي ابن إبراهيم "انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كثيرا علم"،³ ولما اختبره عن واجبات دينية فلم يجده يعرف شيئا منها فيذكر البكري "انه رغم عدم وجود علما عنده بشيء الا انه كان حريصا على التعلم صحيح والنية واليقين فقال له ما يمنعكم من تعلم الشرع على وجهه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال لا يصلنا الا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالنسبة عندهم" .

¹ تارشني {البكري، ص164}، ابن تيفافوت المعروف بتارشنتا في {ابي زرع الفاسي، ص121}، بتادشت اللمتوني {صبح الاعشى ص198

² البكري، المصدر السابق، ص164

³ نفسه، ص165 .

وعليه فانهم لم يجدوا من يقرؤهم القرآن ويدرسهم ويفقههم في دينهم ويدعوهم إلى العمل بالكتاب والسنة ويذكر البكري،¹ انه رغب إلى أبي عمران الفاسي أن يرسل معه من تلاميذته من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويقم احكام الشريعة عندهم ويوافقه في ذلك أبي زرع الفاسي،² حيث قال لو بغيت الثواب من الله بتعليمهم الخير لبعثت معي إلى بلادنا بعض طلبتك وتلاميذك يقرئهم القرآن ويوفقهم في الدين فينتفعون به ويسمعون له ويطيعون فيكون لك في ذلك الأجر العظيم والثواب الجسيم وتكون سببا في هدايتهم ويرى بعض المؤرخين ان ابا عمران لم يجد من بين تلاميذته من يقبل تلبية هذه الدعوة لانهم استصعبوا دخول ارض الصحراء،³ ولما عجز عن ذلك فقال له إني اعرف ببلاد نفيس من ارض المصامدة فقيها تقيا ورعا اسمه وجاج بن زلو اللمطي،⁴ في موضع يقال له ملكوس وهناك ستجد حاجتك عنده واجتمع معه فيه واعطاه كتاب الفقيه أبي عمران الفاسي فرحب به وأكرمهم ولما شرح له أرسل معه عالما فقيها إلى ارض صنهاجة عبد الله بن ياسين الجازولي فاصله حسب البكري،⁵ من بلدة تاماناوت في طرف صحراء غانة وكان من حذاق الطلبة الأذكياء والنبلاء والنبهاء من أهل الدين والفضل والتقى والورع والفقه والأدب والسياسة فخرج مع يحي ابن إبراهيم إلى الصحراء من اجل البدء بتأسيس دعائم الدولة المرابطية ونشر دعوته والشروع في الممارسة والتطبيق ولما وصل إلى بلاد جدالة فالتقاه قبائل لمتونة وكدالة بالسرور وفرحوا به واجتمعوا نحو سبعين شيخا وولوه و بالغوا في إكرامه وبره فشرع في تعليمهم القرآن و يقيم لهم رسم الدين ويسوي بينهم بأدب الشرع واخذ الشيخ يعلمهم ويجتهد في تعليمهم وعندما بدا عبد الله بن ياسين مهنته تلقى الكثير من الصعوبات فقد وجد أكثر

1،ص165

1

2 ابي زرع الفاسي،المصدر السابق،ص123

3 البكري،ص165 ،ابي زرع الفاسي،ص123 ،الحلل الموشية،ص9

4 وكاك:الحلل الموشية،ص10، وجاج ابن زلو، البكري ،ص166 ،وكذلك عند ابي زرع الفاسي،ص123

5 البكري ،المصدر السابق،ص165

المثلثيين لا يصلون وليس عندهم من الإسلام إلا الشهادتين¹، وكانوا يعملون ببعض العادات السيئة التي ورثوها عن آبائهم وقد حرمها الإسلام فلما انزله يحي ابن إبراهيم فوجد عنده تسع نسوة فسأله عنهن فقال هن زوجاتي فقال له الفقيه هذا لا يجوز في دين الإسلام وإنما يجوز لك اربع ففارق خمس فأجابه بالسمع والطاعة وفارقهن ثم قال ان جميع الرؤساء من كدالة ولمتونة على مثلي حالي فانذرهم وعرفهم حكم الله فخرج الفقيه ويحي معه وجمع الرؤساء فقال لهم بلغني بأنكم تتزوجون بما شئتم من النساء وليس هذا من السنة وإنما السنة ان يجمع الرجل بين اربعة نسوة حراير،² وكان بعضهم يرتكب أفعال الزنا وراح عبد الله بن ياسين يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويطبق علمه على أعماله فبعدهما التمس استغلاء طبقة النبلاء من المثلثيين على عبيدهم فأمرهم ان يحدو من تسلط السادة النبلاء فأمرهم ببناء مدينة ارتتى وان لا يشف بناء بعضهم على بناء بعض فامتثلوا لذلك وهم يسمعون له بالطاعة.

ويذكر البكري أنه كان متورعا في أكل لحماهم وشرب ألبانهم لما كانت أموالهم غير طيبة "فقد كان عيشه من صيد البرية يتقرب إلى الله بالعبادة ويقوم بترويض نفسه على الصبر وعلى اثر ذلك تعلق به الفقراء وعامة الناس حتى أصبح يشكل خطرا على أمراء فكان لا بد عليهم من اخراجه من بينهم وانتهت بمؤامرة كادت ان تؤدى بحياة عبد الله بن ياسين فكانت من طرف الأمراء واعيان تزعمها جوهر بن سكم ومعه اثنان من الأعيان أولهما أيار وايتنكو فعزلوه عن الرأي والمشورة وهدموا داره³، ففكر عبد الله بن ياسين بالعودة من حيث أتى ولكن يحي ابن إبراهيم لم يتركه وقال له إني لا أتركك تتصرف وإنما أتيت بك من اجل الانتفاع بعلمك في خاصة نفسي وديني ولا على فيمن ضل من قومي واقترح عليه الذهاب معه في

1 ابو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، ت، ح، جعفر الناصري، ج، 2، دار الكتاب
الدار البيضاء، 1954، ص7

2 ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص124

3 البكري، المصدر السابق، ص165

جزيرة في حوض السنغال قال له ولكن ياسيدي هل لك في رأي أشير به عليك ان كنت تريد الاخرة قال ما هو قال ان هاهنا في بلدنا جزيرة في البحر إذا انحسر دخلناها إليها على أقدامنا وإلا أدخلنا في الزوارق وفيها الحلال المحض الذي لا تشك فيه من الشجر البرية وصيد البر والبحر من أصناف الطير والوحش والحوت فندخل فنعيش بالحلال ونعبد حتى نموت فقال له عبد الله بن ياسين هذا أحسن فلم بنا ندخلها على اسم الله فدخلها ودخلها معه سبعة نفر من كدالة وابتنى عبد بن ياسين رباطه¹، هناك وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالى مدة ثلاثة اشهر فتسامع الناس بأخبارهم و انهم يطلبون الجنة والنجاة من النار واخذ يقرؤهم القرآن ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم من عقابه حتى تمكن حبه في قلوبهم فلم تمر عليهم أيام حتى اجتمع له من تلاميذه نحو الف رجل من أصناف صنهجة²، ان من

¹ الرباط: هو الإقامة على جهاد وبالْحَرْب، ورباط الخيل واعدادها فيقال {فلان له رباط من الخيل} أي الحصن او المكان الذي يرباط فيه الجند واصل الرباط يرباط الفريقان في ثغر كل منهما وسمي المقام في الثغور رباطا، والمرابط هو الزاهد والزاهد هو العابد الذي نزه نفسه من الدنيا واقام ورباط بالثغور لحماية الديار الاسلاميين الامنه من هجمات الاعداء، ورباط الخيل المذكور المعروف بالحصن اخذ للمسلمين من الاية الكريمة {واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل توهيؤن به عدو الله وعدوكم} سورة الانفال، الاية 60، يعني رباطها واقتناؤها، ويقال رباط رباطا، و رباط مرابطة، ورد بان المرابط بمعنى المربوط مطلقا الا انه استعمل في الخيل وانتظار الصلاة بعد صلاة واقامة على جهاد العدو وبالْحَرْب، وعرفت دائرة المعارف الاسلامية الرباط على انه زاوية اسلامية محصنة والرباط في الاصل هو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان يتكأون متأهبين بقيام حملة من الحملات، ويتصل الرباط اتصالا وثيقا بمعنى تجهيز نقله البؤيد والقوافل بالخيل على ان هذه الكلمة اطلقت في وقت متقدم على منشأة دينية وحرية في ان واحد اختص بها المسلمون دون غيرهم، ومن الجهاد الى الرباط بالثغور وهي مقومات الزهاد والعباد من هذه الامة، (انظر محمد امين بلغيث، الربط بالمغرب الاسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي جامعة الجزائر من اشراف عبد الحميد حاجيات، 1986م)، ص 34، 38، وفي تعريف اخر للرباط: وتعني اعداد للخيل وربطها وملازمة ثغر العدو والثغر هو منفذ البلاد برا او ممر عبور الى العدو تاهبا للجهاد وهي المناطق الشمالية من الاندلس الممتدة حتى جبال البرت وكانت سرقسطة قاعدة هذه المنطقة والثغور: ثلاثة ثغر الاعلى قاعدته سرقسطة والاطراف يشمل المنطقة الواقعة في الطريق بين طليطلة و سرقسطة وعاطمتها مدينة سالم اما الادنى من طليطلة الى مدينة ماردة حتى المحيط اطلسي (انظر محمد حسن حتاملة، موسوعة الديار الاندلسية عمان، المكتبة الوطنية، ط1، ص 356، 355، ومع مرور الوقت تغيرت وضيفة الربط فلم تعد مكانا عسكريا بل اصبحت لحياة الزهد والتصوف يرتادها الصوفية للعبادة والانتقطاع الى الله ومجاهدة النفس والحد من شهواتها كما اصبحت تؤدي خدمات اجتماعية ودينية، اضافة الى دورها في الوعظ والتحديث والسماع والافتاء (علي بن محمد بن سعيد الزهراني، الحياة العلمية في صقلية، اصدارات مركز البحوث العلوم الاجتماعية، ام القرى 1996 م، ص 242 .

² لناصر، دار الكتاب، دار البيضاء، ج 2 ص 8.

حكمت عبد الله ابن ياسين انه لم يكن متدهورا بل انتظر حتى تفقه قومه ورسخوا فيهم الدين فقام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم للجنة وخوفهم من النار وأمرهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم ندبهم للجهاد وأمرهم بتقوى من خالفهم من قومه من قبائل صنهاجة وقال لهم "يا معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو ألف رجل ولن يغلب ألف من قله وانتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد اصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم ان تشكروا نعمته بان تأمروا بالمعروف وتتهون عن المنكر وتجاهدون في الله حق جهاده" فقالوا "أيها الشيخ المبارك أمرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ولو امرتنا بقتل ابائنا لفعلنا"¹، فقال لهم اخرجوا على بركة الله وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وابلغوا حجته فان تابوا ورجعوا إلى الحق واقبلوا عما هم فيه فخلوا سبيلهم وان ابو فاستعنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

ومن هنا تبدأ دعوة عبد الله بن ياسين فسار كل رجل منهم إلى قومه وعشيرته فوعظهم وانذرهم ودعاهم إلى الإقلاع عما هم فيه فلم يكن منهم من يقبل ولا يرجع فخرج عبد الله بن ياسين فجمع أشياخ القبائل ورؤسائهم واقر عليهم حجته ودعاهم إلى التوبة فأقام يحذرهم مدة سبعة أيام وهم في ذلك كله لا يلتفون إلى قوله ولا يزدادون إلا فسادا فلما يبس منهم قال لأصحابه قد ابلعنا الحجة وانذرنا وقد وجب علينا الآن جهادهم فأعزوههم على بركة الله² .

فمن هنا يتبين لنا ان عبد الله بن ياسين انه كان معتدلا في التربية والدعوة فهو لم يكن محبا لسفك الدماء وإنما كان يفضل الدعوة والصلاح حتى يمثل المسلمون إلى التعاليم الصحيحة للشرع الإسلامي في حياتهم ولكنهم تمادوا في ذلك وانعدمت كل السبل ما أدى بعبد الله بن ياسين إلى تغيير طريقه في إعلانه للجهاد ومحاربة الباطل فلجا إلى السيف³، فاستطاع بفضلته تغيير دعائم الدولة فبدا أولا بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين

فانهزموا بين يديه وقتل منهم خلف كثيرا واسلم الباقون إسلاما شديدا وذلك في شهر صفر سنة 434 هـ الموافق ل 1042 م ثم سار إلى قبيلة لمتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى ظهر عليهم وأذعنوا إلى الطاعة وتابوا وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة ثم سار إلى قبائل مسوفة فغزاهم حتى اذعنوا وبايعوه ولما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا إلى التوبة والمبايعة واقروا له بالسمع والطاعة وكان كل من أتاه تائبا طهره وذلك بضربه مئة سوط ثم يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ويأمره بالصلاة والزكاة والعشر ويذكر البكري¹، في ذلك "انه وضع حدود للزاني مئة سوط وحد المفترى ثمانين سوط وحد الشارب مثلها وهكذا فعلوا بمن تغلبوعليه وادخلوه في رباطهم وان علموا انه قتل قتلوه سواء أتاها تائبا طائعا أو غلبوا عليه مجاهرا عاصيا ومن تخلف عن مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوط ومن فاتته ركعة ضرب خمسين اسواط"، وقد وضع بيت المال يجمع فيه وركز على الجانب العسكري حيث قام بشراء السلاح واركاب الجيوش كما انه لم يتجاهل الجانب العلمي بحيث كان يبعث بمال كثير مما اجتمع لديه من الزكوات والأعشار والأخماس إلى طلبة العلم ببلاد المصامدة وكامل بلاد السودان ويقال انه قام رجل بكدالة يدعو إلى الله تعالى والى طريق المستقيم ويحكم بما انزل الله وانه متواضع زاهد في الدنيا لما توفي الأمير يحيى ابن إبراهيم الجدالي فاختر عبد الله بن ياسين بعد مشاورة المرابطين يحيى ابن عمر اللمتوني وكان الأمير بن ياسين هو الذي يأمر وينهى ويعطي ويمنع وعن رايه يصدون فكان يحيى ابن عمر يتولى النظر في أمر الحرب اما

عبد الله بن ياسين ينظر في أمور الدين والشرع ويأخذ الزكوات والأعشار وكان هذا اختبار إلى تمرد قبيلة جدالة لخروج الامارة منها فجهز ابن ياسين جيشا ضد المتمردين وردهم إلى الطاعة².

169

-1

² أبي زرع الفاسي، المصدر السابق ص 127

فقد كان الأمير يحيى ابن عمر اشد الناس انقيادا لعبد الله بن ياسين وامثالاً لما يأمره¹، فقد كان هو الذي يأمر وينهى فانقادوا له وأطاعوه فقد كان يقول انه هو معلمهم لدينكم ، فقد كان يلي لمتونة جبل فيه قبائل من البربر على غير دين الإسلام فدعاهم عبد الله بن ياسين إلى الدين فامتنعوا له فأمر عبد الله بن ياسين بغزؤهم فغزا لمتونة يحيى ابن عمر وسبؤهم وقسموا سبيهم واخذ أميرهم خمسمهم وكان قد فقد في ذلك الوقت من عسكرهم أكثر من العدد وكان أمامهم عبد الله بن ياسين يصبرهم إلى ان ظهروا باعدائهم فسامهم بالمرابطين²، ويذكر البكري ان المرابطون غزو مدينة سجلماسة بعد ان خاطبوا أهلها و رئيسهم مسعود بن وانودين المغراوي يجيبوهم إلى ما أرادوا فغزاهم في جيش عدته ثلاثون الف جمل سرج فقتلوا مسعودا و استولوا على سجلماسة و تخلفوا فيها جماعة منهم ثم عادوا إلى بلادهم فغدر أهل سجلماسة بالمرابطين في المسجد وقتلوا منهم عددا كبيرا وذلك سنة أربعين وأربعة مائة³، وقيل سبع وأربعين⁴، ويوافقه في ذلك الناصري انه اجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا إلى عبد الله ويحيى ابن عمر وأشياخ المرابطين كتابا من اجل ان يصل إلى بلادهم ليظهروها من المنكرات ويضيف أبي زرع الفاسي على انه وجد بها المنكرات فقطع المزامير واحرق الديار التي كانت تباع فيها الخمر وأزال المكوس واسقط المغارم المخزية⁵، وعرفوهم بما فيه من العلم و الدين وسائر المسلمين من الذل و الصغار ومع أميرهم مسعود بن وانودين وعند وصول هذا الكتاب دعا لهم بالخير وخصهم بالجهاد .توفي الأمير يحيى ابن عمر في بعض

² - فمن حسن طاعنه له انه قال له يوما وجب عليك أدب قال له فيم يا سيدي ؟قال له انه لا أعرفك به حتى أخذه منك عن بشرته ،فضربه عشرين سوطا ثم قال له يوما انما ضربتك لانك باشرت القتال و اصطليت الحرب بنفسك وذلك خطا منك ، فان الأمير لا يقاتل وانما يقف ويحرص الناس ويقوي نفوسهم فان الحياة جند بحياة أميره وهلاكه بهلاكه" الاستقصا ،ص10

³ - ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق حسان عباس ، ج 4،دار الثقافة لبنان ، ص12

³ البكري، المصدر السابق ص167 ،

⁵ - أبي زرع الفاسي، المصدر السابق ص167 ، استقفا المصدر السابق،ص9

⁵ - أبي زرع الفاسي، المصدر السابق ص128

غزواته ببلاد السودان¹، فأمير عبد الله بن ياسين لم يضيع وقتا فاختر أمير أبي بكر ابن عمر محل أخيه وقلده في الحرب²، وعمل على اخذ البيعة له من قبائل فتوجه إلى سجلماسة واخذ له البيعة وبايعه في الزيناتين على يد عبد الله بن ياسين وبعد ذلك كان الخروج أبو بكر من سجلماسة بعسكره إلى درعة ليأخذ منهم ما اوجب له عليه من الزكاة وكان خروج أبو بكر وكان بدرعة قوم من الزيناتين فامتنعوا له فقاتلهم وهزمهم وغنم ابلهم ومواشيهم وولى بهار جلا من خيار لمتونة فم رجع إلى سجلماسة .

وفي ذلك الوقت ذهب عبد الله بن ياسين إلى بلاد المصامدة ففتح جبل درن وفتح أيضا بلاد رواده وبعدها بفترة خرج من سجلماسة قاصدا مدينة اغمات يذكر البكري انه في سنة تسع وأربعين ثم غزوها ويذكر ابن عذارى انه أقام في اغمات مع إمامه مدة ستة أشهر فانصرف مع امامه محمد إلى بلاد تامسنا فقتل ببرغواطة³، في أوائل سنة احدى وخمسين وأربع مائة وتذكر بعض المصادر انه توجه إلى بلاد السوس من اجل اصلاح بين اخوانه جدالة في فتنة فأصابه المرض فقضى نحبه إلى انه توفي في اغمات واما عن البكري فانه يذكر انه توفي ببرغواطة بموضع يسمى كريفلت وحسب المصدر نفسه فانه يقول لم يقتل حتى استولى عبد الله بن ياسين على سجلماسة واغمات وبلاد السوس وغيرها ومن أحوال عبد الله بن ياسين انه سافر مع قوم كانوا معه وعطش جميعهم فشكوا ذلك إليه فقال " عسى ان يجعل لنا من امرنا مخرجا"⁴، ويذكر انه سار بهم ساعة وقال لهم احفروا فوجدوا الماء بأدنى فحفروا وشربوا وسقوا دوابهم واستسقوا أعذب ماء طيبة⁵، وانصرفوا وكانت لمتونة لا تقدم أحدا منهم للصلاة إلا من صلى خلف عبد الله بن ياسين فقد كان نكاحا للنساء يتزوج في الشهر عددا

² - تفق كل من (البكري 168)، و(ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص14) انه استشهد سنة 448، اما (القلقشندي، صبح

الاعشى، ج5، ص189) فانه يشير انه قتل في الصحراء سنة 447

² البكري، المصدر السابق ص167

³ لقد أسهب روض القرطاس في وصف حروبه مع برغواطة ص 130. البكري مصدر سابق، ص168، ابن عذارى

، مصدر سابق، ص115

⁴ البكري، المصدر السابق ص 168.169

⁵ نفسه، ص159

منهن ثم يطلقهن فكان لا يسمع بالمرأة إلا خطبها ولا يجوز بصدقهن إلا أربعة مثاقيل¹، اما عن ماشذ به عبد الله بن ياسين من احكام²، فكان الرجل اذا دخل في دعوتهم وتاب من سالف ذنوبه قالو له لقد اذنبنا ذنوبا كثيرة فيجب عليك ان يقام حدودها ويضربوها حتى الزنى و حد الافتراء وان علموا ان قتل قتلوه حتى وان اتاهم تايبا طايحا ومن تخلف عن الصلاة الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضرب خمسة اسواطا فكان أكثرهم يصلون بدون وضوء إذا حان الوقت واعجلهم امرا من اجل الضرب وعند وفاة عبد الله بن ياسين تولى امر صنهاجة أبو بكر بن عمر وطاعة له جميع بلاد المصامدة بأسرها فقامت معه لقتال قبائل برغواطة واخذ الثار منهم³.

2 / الاسلام في التكرور:

يحدثنا البكري بان التكرور كانت عبارة عن امارة سودانية صغيرة فهي لم تكن كمدينة فقط فقد كانت تعتبر مستقرا لأميرها⁴، وبحكم موقعها والقرب الجغرافي من المسلمين ان تكون التكرور من اولى المناطق التي اخصبها الإسلام وحسب المصدر نفسه فان إمارة التكرور تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر ، كما ان تحالف رئيس التكرور مع يحيى بن عمر اللمتوني ضد جدالة عند مخالفة هذه الأخيرة لعبد الله بن ياسين⁵، ما ياخذنا إلى النظر في العلاقة التي كانت بين جدالة و التكرور فمن الممكن ان تكون جدالة وراء اسلام اهل التكرور فالقلقشندي يصفها انها تقع في شرق إقليم كوكو ويوليه من جهة الغرب مملكة البورنوا ويضيف إلى ذلك انه يذكر السليم لها حيث يقول مدينة التكرور بفتح التاء المثناة فوق وسكون الكاف وضم الراء المهملة وسكون الواو و الراء مهملة في الآخر⁶، إما بالنسبة

¹ حسب ما ذكره ابن أبي عذارى المراكشي، ص 16

² البكري، ص 169 خصص عنوانا كاملا لهذه الأحكام

³ ابن عذارى، المصدر السابق ص 17

⁴ البكري، المصدر السابق ص 172

⁵ البكري، المصدر السابق، ص 168

² - حسبما ذكره القلقشندي، المصدر السابق، ص 286

للفظ التكرور فانه يستعمل في السودان الشرقي للدلالة على كل أهل السودان الذين يسكنون غربهم إلى المحيط كما يذكر ان التكرارة هم فريق من أهل السودان الذين حوض نهر السنغال الأوسط فالسينغاليون هم تكرارة فيذكر لنا حسن المؤنس ان اصلهم من فرع من الفولا أو الفولانيين وهم شعب معروف في كامل افريقية مدارية فاصلهم البعيد من بربر إقليم فزان فانهم عبروا إلى ناحية تشاد ومن ثم انتشروا وتكاثروا بالسكان وأصبحوا بذلك سودانيين وهؤلاء الفولانيين الذين استقروا في إقليم فوتا توروا في السنغال هم الذين عرفوا بالتكرارة¹، أما في ما يخص اعتناق أهل التكرور للإسلام فانه يرجع إلى الثلث الأول من القرن الخامس هجري أي قبل قيام الدولة المرابطية ويؤكد لنا البكري هذا الأمر يقول: "ان مدينة التكرور أهلها سودان وكانوا على ما سائر السودان عليه من عبادة المجوسية وعبادة الدكاكير و الدكور عندهم الصنم حتى وليهم وارجابي بن ريس فاسلم واقام عندهم شرايع الإسلام وحملهم عليها وحقق بصايرهم إلى أن توفي اثنين وثلاثون واربعة مئة"²، فان أهلها مسلمون على أيامه وان أهل مدينة سلى التي تليها والتي تقع على نهر النيجر ايضا مسلمون اعتنقوا الإسلام على يد وارجابي ومنه نلاحظ ان بعد اسلام أهل التكرور فان ملك وارجابي انتقل مباشرة إلى نشر الإسلام في مدينة سلى وتم على أثره ملك سلى قبول دعوته ربما لأنه يمكن ان يكون بسبب إسلامه إذ يذكر البكري في ذلك ويقول ان ملك سلى كان يحارب كفارهم ومنه يمكن لنا ان نقول انه ربما كانت مدينة سلى متحالفة وخاضعة لامارة التكرور وعليه فاننا نجد ان اسلام في مدينة سلى فأهلها يقومون مباشرة بنشره في المدن المجاورة والقريبة منهم وحتى المدن الوثنية ومنهم لمملكة غانة خاصة مدينة قلوبو التي لا تبعد على سلى كثيرا والسبب في نشره بهذه البساطة والسرعة يعود للعلماء و الفقهاء والدعاة والتجار التي كان لهم دور مهم في نشره وتهيء مدينة سلى لاعتناق الإسلام وفي هذا الصدد فان الإسلام إذا مس منطقة أصبحت مسؤولة عن نشره في هوامشه وعليه فان سيرورة

¹ حسن المؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام ألي، القاهرة، ط، 1987، ص372

² البكري، المصدر السابق ص 172

الإسلام لا تربط بالموجة العربية والموجة البربرية وإنما بالموجة السودانية¹، ومن خلال ما ذكره البكري فان احمد الشكري توصل إلى استنتاج وهو إذا تتبعنا سيرورة الإسلام وانتشاره في التكرور ودليل على ذلك قصة المهادات التي ذكرها البكري والتي حدثت بين ملك القرويين الوثني واحد ملوك المسلمين المجاورين له وكان كلاهما من السودان²، ومنه نلاحظ انه رغم وثينة الملك إلا انه يعرف ببعض القواعد التشريعية في الإسلام مثال على ذلك تحديد عدد الزوجات التي ذكرها البكري ويوافقه في ذلك الإدريسي إلا انه يضيف على ذلك ان التكرور أصبحت في عهده عبارة عن سلطة إسلامية في غاية الأهمية من الناحية السياسية حيث يقول انه سلطان مؤمر وله عبيد وأجناد وله حزم وجلادة وعدل مشهور ويذكر ان بلاده كانت أمنة وادعة و موضع مستقر وأصبحت في عهد الإدريسي من عمالة السلطان التكروري ويضيف في ذلك ان مدينة التكرور اكبر من مدينة سلى وكانت اكثر تجارة واكثر متاجر وانهم يخرجون منها التبر اذا امتد نفوذها جنوبا في اتجاه مناجم الذهب قرابة 12 مرحلة³، وأصبحت بذلك برسني تابعة وتحت طاعة التكرور باعتبار أهلها متجولون وهي تبعد عن التكرور على نحو النبيل مشرقا 12 مرحلة³، ويذكر كل من البكري والإدريسي ان أهل التكرور كانوا يتصلون بقبائل الللم⁴، وكانت أساسا بغرض شراء الذهب أما عن ابن سعيد⁵ فانه يقول اما في عصرانا فما على الشاطئ النيل من بلاد التكرور مدينة الا ودخلها الإسلام وجميعها لسلطان التكرور وهي تعتبر إحدى المدن المهمة وأهلها كان لهم دور اساسي في نشر الإسلام بين قبائل الللم.

3 / الإسلام في غانة:

¹ احمد الشكري، المرجع السابق، أبو ظبي، ط1، ص96

² البكري، المصدر السابق، ص174

³ الإدريسي، المغرب وارض السودان ومصر والأندلس، بمطبع بريل صص 2.1

⁴ البكري ص 174، الإدريسي ص2

⁵ ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص91

تعتبر امبراطورية غانة من اقدم الامبراطوريات الافريقية التي قامت في السودان الغربي ،وبلغت هذه الامبراطورية ذروة مجدها و عظمتها من حوالي القرن التاسع ميلادي الى منتصف القرن الحادي عشر.¹

اما عن معنى كلمة غانة في لغة السوننكي القيادة العسكرية ومن هنا اطلقت هذه الكلمة على المدينة التي كانت بها القيادة⁵ ،،اما البكري فيقول:ان غانة كانت سمة لملوكهم واصبحت تطلق على العاصمة فيما بعد⁶،فالحموي يذكر ان غانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد السودان⁷، اما الفلقشندي⁸،فانه يستعمل اسم غانة،اما عن اصل السكان في غانة فالسعدي يذكر:ان غانة امارة عظيمة على ارض باغن قيل ان سلطتهم كانت قبل البعثة حينئذ 22ملكا وعدد ملوكهم 44ملكا وهم بيضان الاصل ولكن لانعلم من ينتمي اليه في الاصل²،فهناك من تم ربط الاسلام في غانة بالغزو المرابطي في حين ان البكري يوضح لنا قدوم الاسلام ومظاهر الدين خاصة المساجد التي قد وجدت طريقها في وقت مبكر .

ذكر البكري ان ملك من ملوك غانة وهو الملك بسي الذي كان ابن خمس وثمانين سنة وانتهى حكمه عام 455هـ الموافق ل 1063م فقد كان رغم وثنيته الا انه كان محبا للمسلمين فتولاها بعده ابن اخته تتكامين في العام نفسه والذي كان على عرش المملكة وحسب المصدر نفسه «فان هناك مدينتان سهليتان احدهما المدينة التي الاسلامية التي يسكنها المسلمون وهي مدينة فيها اثنا عشر مسجدا احدهما يجمعون فيها الائمة و

⁴ ابراهيم طرخان،امبراطورية غانةالاسلامية،الهيئة المصرية،وزارة الثقافة،ص15

⁵عطية هخزوم الفيتوري،دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء،جامعة قاريونس،كلية اداب قسم التاريخ،ط1، 1998،ص2346،

⁶البكري ،المصدر السابق،ص174

⁷ ياقوت الحموي،المصدر السابق،ص184

⁸الفلقشندي ،المصدر السابق،ص 284

²-عبدالرحمان اسعدي، تاريخ السودان، طبعة هداس باريس، 1998 .15

المؤذنون فيها فقهاء وحملة علم، فحسب ابراهيم طرخان فاننا نلاحظ انه حتى في عهد الحكومة الوثنية ان المسلمون لكثرتهم واهميتهم وثقافتهم و سواء كانوا من السونينكي او من البربر او المستوطنين العرب تمتعوا باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين ،فبمجرد ظهور المسلمين في العاصمة ووجود اثنا عشر مسجدا،فهو خير دليل على احترام الاسلام والمسلمين والتسامح،فبالنسبة لابن اخته الذي حكمه بعده فانه كان يعتمد على المسلمين في تسيير الحكم فحسب البكري فان ملوك غانة كانوا يعفون المسلمين من التزامهم بالمراسيم التقليدية فيقول «انه اذا دنا اهل دينه جثو على ركبهم ونثرو التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له اما المسلمون فان اسلامهم كان تصفيقا باليدين»¹، وحسب المصدر نفسه فانه يقول «وفي مدينة الملك مسجد يصلي من يفد من المسلمين على مقربة من مجلس الملك» فقد اقام الملك الوثني مسجدا في المدينة الوثنية الغابة من اجل ان اداء المسلمين شعائرهم الدينية وهذا دليل على تسامحه وكرمه للمسلمين ،اما فيما يخص دخول الاسلام وقدمه فالبكري اورد لنا ان بني امية ارسلو جيشا اسلاميا لفتح بلاد السودان في صدر الاسلام واستقرت ذرية هذا الجيش في غانة وعبارة البكري في ذلك «وببلاد غانة قوم يسمون بالهنيهين من ذرية الجيش الذي كان بنو امية انقذوه الى صدر الاسلام وهم على دين اهل غانة الا انهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم»²، ويوافقه في ذلك القلقشندي³، فيقول: عن اسلام اهل غانة «وكان اهلها اسلمو في اول الفتح، وعليه نلاحظ حاكم غير مسلم والاسلام فاش بين رعيتهم وحركتهم العلمية ناشطة فيها اثنا عشر مسجدا احدهما يجمعون فيه ولهم الايمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة العلم وقد كان ملكها يعتمد في ادارته على المسلمين على الرغم من ان ملكها كان قويا عظيما فيذكر البكري :«ان ملكها هذا شديد الشوكة،عظيم المملكة مهيب

² - البكري ، المصدر السابق ص 179

³ - 285

السلطان¹، ومع ذلك فان اسلام رعايا غانة لم يحل حتى تولى المسلمين اسمى المراتب والمناصب وحسبما ذكر البكري «وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله واكثر وزرائه» فقد كان نظام الحكم في غانة هو توريث ابن الاخت الملك فيقول البكري «وتلك سيرتهم ومذهبهم ان الملك لا يكون الا في ابن الاخت الملك لانه لا يشك فيه» ومنه نلاحظ ان نظام الحكم في غانة ملكي يقوم على توريث ابن الاخت وهذا يدل على التقاليد الوثنية كما يضيف البكري على ذلك: «ولا يلبس المخيط من اهل دين الملك غيره وغير ولي عهده وهو ابن الاخت»².

كما يتحدث البكري عن مدن اخرى كان الملك فيها مسلما ورعيته غير مسلمة ومثاله على ذلك ملك مالي المعروف بالمسلماني الذي اسلم على اثر احد المسلمين ومثال اخر في هذا النسق فهو في مدينة الوكن احدي ولايات مملكة غانة ويذكر البكري ان ملكها قنمر بن بسي يقال انه مسلم يخفي اسلامه ويعتبر هذا خير دليل على عدم اكراه في نشر الاسلام فهو ليس شرطا ان يسلم الملك فتسلم رعيته³.

وبدخول حركة المرابطين في الصحراء الغربية الى جنوب من بلاد المغرب الاقصى في القرن الخامس هجري بفضل نشاط الفقيه عبد الله بن ياسين الذي عمل على نشر الاسلام في بلاد السودان فامر بتعيين ابا بكر بن عمر اللمتوني قائدا عاما لجيش الدولة وظل يحارب في سبيل الله ، فقد وصل الى حوض السنغال ثم استولى على غانة ثم تمبكتو وولاته وبلاد قبيلة جنى حتى وضع يده على مناجم الذهب الكبرى وتعتبر من اضخم المناجم وبهذا ازداد ساعد الدولة المرابطية واستلاء على اودغست التي ظهرت في عصر المرابطين والتي تعتبر من اهم المراكز الثقافية التي كان لها دور في نشر الاسلام والثقافة العربية في

¹ - البكري ، المصدر السابق ص 185

² - نفسه، ص 175

³ - عزالدين عممر موسى، البكري مصدر لانتشار الاسلام، المؤتمر الدولي، جامعة افريقيا العالمية، عدد

14، كتاب 12، ص 147

منطقة السودان ويصفها البكري على انها مدينة آهلة كبيرة وسكانها من عناصر شتى فهم من اهل افريقية ،برقجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة وهم اكثرهم وبها نبذ من سائر الامصار ويصفهم ايضا من زناتة العرب كما كانت تحيط باودغست البساتين والنخيل وفيها مساجد اهلة وبهذه المساجد معلمون لتعليم القران والسنة وتعاليم الاسلام¹، وقد اشتهرت اودغست بمبانيها الجميلة وسوقها العامرة فمن كثرة ضوضائه حتى لا يسمع فيه الرجل كلام جليسه كما كانت تتوفر بها جميع انواع التجارة من حبوب والفاكهة التي ترد اليها من بلاد المغرب وتتوفر بها صناعات المعدنية التي بلغت درجة في الرقي كما كانت تتاجر بالاقمشة الحريرية التي يدفع ثمنها تبرا²، حيث يقول احد المؤرخين عن ولاتا انها حلت في القرن السابع المركز التجاري لمدينتي غانة واودغست³، كما يؤكد السعدي⁴، ازدهارها قبل ذلك التاريخ ويدعوها ببير وبعدها تحول الناس عنها تدريجيا الى تمبكتو التي حلت محل ولاتا في القرن السابع حيث سكن فيها المعلمون والصالحين من الاخيار وذوي الاموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من اهل مصر ووجلة وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتافيلالت وفاس وبيط ثم انتقل الجميع الى تمبكتو حتى استكملوا فيه وزيادة مع جميع قبائل صنهاجة باجناسها فكانت عمارة تمبكتو خراب ببير، وقد بين البكري انه كان من اهل اودغست جاليات عربية ومهاجرين من مغاربة القيروان ومنه نلاحظ انه كان للتجارة دور مهم وكبير في نشر الاسلام وخاصة اودغست قبل استلاء المرابطين عليها فهي تعتبر من قبل مدينة اسلامية فان اودغست نمت بنمو العلاقات التجارية حتى صارت من امصار الاكبر الشمالي من مملكة غانة ولما صارت تحت حكم يتروتان بن ويسنو بن نزار 350 هـ 360 م واخضع عشرين ملكا سودانيا

1/ البكري ،المصدر السابق،ص175

2/ عصمت عبد اللطيف دندش،المرجع السابق،ص158

3/ عز الدين عمر موسى،المرجع السابق،ص152

4/السعدي ،المصدر السابق،ص21

ادو الجزية ويذكر المرابطون ان عبد الله بن ياسين قد فتح اودغست عنوة¹، ولكن كل هذا يؤكد ان اودغست كانت عاصمة غانة.

كما يتحدث عن مدن اخرى كان الملك فيها مسلما ورعيته غير مسلمة ومثاله اسلام ملك مالي الذي اسلم على اثر احد الضيوف من المسلمين في عام جذب ولما استجاب الله له وارتوت الارض بدعائه اعلن اسلامه وامر بكسر الدكاكير وصح اسلامه اما المثل الاخر لهذا النسق فهو في مدينة الوكن احدى ولايات مملكة غانة ويذكر البكري ان ملكها قنمر بن بيسى يقال انه مسلم يخفي اسلامه ويعتبر خيرا دليل على عدم اكرامه في نشر الاسلام فهو ليس شرطا ان يسلم الملك فتسلم رعيته²، ويدخل المرابطون في الصحراء الغربية الى الجنوب من بلاد المغرب الاقصى في القرن الخامس هجري بفضل نشاط الفقيه عبد الله بن ياسين الذي عمل على نشر الاسلام في السودان الغربي فأمر بتعيين ابا بكر ابن عمر اللمتوني قائدا عاما لجيش الدولة وظل يحارب في سبيل الله³، فقد وصل الى حوض السنغال ثم استولى على غانة ثم تمبكتو وولاته وبلاد قبيلة حتى وضع يده على مناجم الذهب الكبرى وتعتبر اضخم المناجم ولهذا ازداد ساعد الدولة المرابطية، وبالإضافة الى سيطرتها على الطرق التجارية من المغرب الاقصى الى افريقية المدارية ولما استولى المرابطون على اودغست 447هـ 1055م اتجهوا الى غانة وقضوا على الوثنية وعملوا على نشر الاسلام في غانة فقد كان الابي بكر بن عمر الفضل الكبير في نشر الاسلام في الجزء الاكبر من بلاد افريقية وجعله جزء من دولته ومركز لنشره في بقية هذا الجزء من بلاد السودان الغربي وعند استشهاده سنة 480هـ 1087م كان الاسلام قد وقف على ابواب افريقية الاستوائية عند منطقة الغابات الكثيفة²، وهذا ما ادى الى اضعاف سلطان المرابطين بعد موت ابي بكر

1البكري،المصدر السابق،ص195

2 عز الدين عمر موسى،المرجع السابق،ص145

3 عطية مخزوم الفيتوري،المصدر السابق،ص239

2- حسين المؤنس،المصدر السابق،ص288

بن عمر الا ان الاسلام واصل انتشاره في مناطق والنواحي وبهذا يكون ابو بكر من قائد الجناح الجنوبي من المرابطين قد قدم للاسلام خدمة لا تقل اهمية عم قدمه يوسف بن تاشفين في المغرب والاندلس كما ان هناك عدة دوافع ساعدت على اضعاف غانة وسقوطها ومع نهاية القرن الخامس للهجرة ظهرت هناك قرية تقع جنوب شرق غانة تدعى صوصو كما كان زعيمها قد قام بغزو ممتلكات الامبراطورية الغانية وقام بفرض الجزية على شعوبها واعلن نفسه ملكا عليها ومن هنا بدأت ،وقام بغزو العاصمة كومبي صالح ومن هنا بدأت الامبراطورية الغانية تتفصل ممالكها الواحدة تلو الاخرى واخذت تتقلص حول نقطة واحدة¹.

4/الاسلام في مالي

من خلال دراستنا للمصادر التي اهتمت بهذه المنطقة فقد امدتنا بمعلومات وافية تشرح لنا تاريخ مالي الذي استمر الى غاية نهاية القرن الرابع عشر وعلى اثر ذلك فيعتبر البكري اول مؤلفي العرب الذين ذكروا مالي في القرن الحادي عشر والتي سماها مل²، ويشير الى كذلك الى مملكة دو حيث يقول ان الزوج العجم الذين يسمون الونغارا هم تجار ينقلون التبر من ير سنى الى كامل البلدان وكان يوازيها على الضفة الاخرى للنهر مملكة عظيمة تمتد على

²-نورالدين شعباني، دور عائلة كايثافي مملكة مالي وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع هجريين، اطروحة لنيل شهادة دكتورقتحت اشراف عبدالعزيز بوكنة، 2013، ص65

1/ 179

2/ نياني، مالي والتوسع الثاني للماندينغ، تاريخ افريقيا العام، ج4، ببيروت، 1988، ص136

3/ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مطبعة ليدن، ص4

4/ القلقشندي، المصدر السابق، ص282

5/ حسن الوزان، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد اخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، ص287

مسيرة ثمانية ايام ويدعى ملكها لقب المسلماني²، وبعد مضي قرن من الزمن يذكر الادريسي³، ان في جنوب من برسنى ارض الللم وبينهما نحو عشرة ايام واهل برسنى وسلى وتكرور وغانة ويغيرون على بلاد لملم وينسبون اهلها ويجلبونهم الى بلادهم فيبيعونهم من التجار الداخلين ويخرجهم التجار الى ساير الاقطار وليس في بلاد الللم الى مدينتان صغيرتين كالقرى اسم احدهما ملل والثانية دو وبين هاتين المدينتين مقدار اربعة ايام نحو 12 ميلا اما القلقشندي⁴، فقد بين لنا النطق الصحيح لمملكة مالي وذلك بفتح الميم والف بعدها لام مشددة مفخخة وياء مثناة تحت في الاخر وهي معروفة عند العامة ببلاد التكرور فيحدها من الغرب البحر المحيط وفي الشرق بلاد البورنو وفي الشمال جبال البربر وفي الجنوب الهمج ، وزيادة على ذلك فانه يذكر ان مالي كانت تحتوي على اربعة عشر اقليما اما عن حسن الوزان⁵، فانه اورد مساحة مالي التي كانت تمتد على طول احد فروع النيجر في مسافة نحو ثلاثمئة ميل متاخمة المملكة السابقة من جهة الشمال والقفرة مع جبال وعرة نحو الجنوب وتحدها غربا غابات مهجورة تمتد الي محيط وشرقا اقليم كاغو وكذلك يكتبها السعدي على انها اقليم واسع ومملكة عظيمة توسعت تدريجيا على انقاض مملكة غانة.

والملاحظ ان مدينة مالي يسميها البكري ملل ونجدها بنفس التسمية عند الادريسي وعند محمود كعت¹، مل بلام مشددة ويضيف في ذلك الادريسي²، حيث يقول انها تقع على تل تراب احمر منيع جانبه واهل ملل متحصنون فيه فيمن يطردهم من ساير بلاد السودان حسب البكري فان اول من اسلم من ملوك مالي هو الملك المعروف بالمسلماني الذي اسلم على يد احد ضيوفه³ فهو بذلك لم يوضع لنا اسم الملك وانما اورد لنا اسم املك وانما اورد لنا قصة اسلامه اذ يقول ان مالي شهدت سنوات جذب متتالية فاستسقوا بقرابينهم من البقر

1- محمود كعت، تاريخ الفتاش، طبعة هوداس ودولافوس، 1964، ص 41

2- الادريسي، المصدر السابق، ص 6

3- تقي الدين الدوري، خولة شاعر الدجيلي، مصدر سابق، ص 266

4- البكري، المصدر السابق، ص 178

حتى كادو يفنونها ولا يزدادون الا قحطا وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكا اليه الملك ماداهتمت من ذلك فقال له ايها الملك لو امنت بالله تعالى واقررت بوحدانيته وبمحمد صلى الله عليه وسلم واقررت برسالته واعتقدت شرائع الاسلام كلها لرجوت لك الفرج مما تيسر عليه وعلمه الفرائض و السنن وما يسع جهله ثم امهله الى ليلة جمعة فامرته فتطهر تطهيرا و البسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرز الى ربوة الارض فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه فصليا من الله ماشاء الله والمسلم يدعو و الملك يؤمن فما انفجر الصبح حتى عمهم السقا وامر الملك بكسر هذه الاصنام واخراج السحرة من بلاد و صح اسلامه واسلام الملوك الذين جاؤوا بعده على مملكة مالي،⁴ ومنه نلاحظ ان الاسلام لم يكن غريبا عندما اسلم هذا الملك فقد وضح لنا البكري انه كان هناك احد من المسلمين الذين كان يقرؤهم القرآن ويعلمهم السنة النبوية ويقوم بنشر الدعوة الاسلامية وكان الانتشار الاسلام في اغلب الظروف لم يرق على العسر وانما قام على الاقناع وما ميز انتشار الاسلام هو دين فطرة بطبيعته سهل التناول لا لبس فيه ولا تعقيد سهل التكيف في مختلف الظروف فإسلام في مالي مس الطبقة الحاكمة والطبقات العليا ثم اخذ طريقه بين مختلف الشعب وترسيخ في نفوسهم وعلى الرغم من ذلك بقيت فئة منهم متمسكة بطابعها الوثني كما يضيف البكري،¹ انه كان يوجب على تسع مراحل من مدينة انبارة مدينة كوغة او غاو التي يسكنها المسلمون وقد كانت معظم السلع التي جلبها لها تتمثل في الملح والودع والنحاس و الفربيون.

كما يذكر الادريسي،² على ان مدينة كوغة وكوكو من اشهر المدن فهي تقع على ضفة نهر البحر الحلو وفي شماله ومنه شرب اهلها وهي من عمالة ونقارة ومن السودان اما عن مدينة

¹ - البكري، المصدر السابق، ص 178

² - الادريسي، المصدر السابق، ص 12

³ - القلقشندي، المصدر السابق، ص 289

كوكو فيقول انها مدينة مشهورة الذكر في بلاد السودان و يحدد موقعها على انها تقع على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال فيمر بها ومنه شرب اهلهوايذكر الادريسي ان ملك مدينة كوكو ملك قائم بذاته خاطب لنفسه وان له حشم كثير ودخلة كبيرة وفؤاد واجناد و زي كامل وعليه فاننا نلاحظ ان مدينة كوكو كانت منظمة تنظيمًا مميزًا من ناحية الادارية والعسكرية حيث يقول انه كان للملك حلية حسنة وانهمك انو يركبون الخيل و الجمال وكانت تتمتع بقوة على غيرها من المناطق المجاورة لها اما من الناحية الاجتماعية فيذكر لنا ان لباس عامة اهل كوكو الجلود ويسترون بها عوراتهم واما تجارهم فانهم يلبسون القوادير والاكسية وعلى رؤوسهم الكرازي وجليهم الذهب وخواصهم وجليتهم يلبسون الازر وهم يداخلون التجار ويجالسونهم ويبضعونهم بالبضائع ويذكر انه ينبت في ارض كوكو العود المسمى بعود الحية مشهور وصفه هذا العود كصفة العاقر قرحا وكما يبين لنا القلقشندي³ النطق الصحيح لمدينة كوكو حيث قال وقاعدته بفتح الكاف و السكون الواو و فتح الكاف الثانية و سكون الواو بعدها . و موقعها في الجنوب عن إقليم الأول فقد ذكر ابن سعيد¹ و مدينة كوكو في شرقي النهر المنسوب إليها حيث الطول أربع و أربعون درجة و العرض عشر درجات و خمس عشر دقيقة و هو منبع نهر كوكو المغرب قال وهي مقر صاحب تلك البلاد . وهو كافر يقاتل من غربية مسلمي غانة و من الشرقية من مسلمي كانم و يذكر البكري² ان بينها و بين غانة مسيرة شهر و نصف .

¹-ابن سعيد المغربي،المصدر السابق،ص183

² .175

الفصل الثالث

اولاً: ما تميز به البكري عن غيره:

رغم أن البكري لم يزر بلاد السودان ابداء، الا أن ما تناوله كتابه حول انتشار الإسلام في السودان الغربي لا يضاهيه أي كتاب من كتب الجغرافيين و الرحالة الذين زاروا المنطقة و عايشوا السكان في اوج مرحلة انتشار الإسلام هناك¹. حيث يكون البكري قد اعتمد في جمع معلوماته عن الإسلام في غانة على مصادره الخاصة بحكم مكانته و وظيفته في الاندلس². لكن كتابه جاء فيه بطرح جديد بخصوص انتشار الإسلام في بلاد السودان. و رغم أن كتاب البكري قد عاصر فترة الفتح المرابطي لغانة على اعتبار انه كتب خلال منتصف القرن الخامس للهجرة/11 م ، إلا انه قدم لنا معلومات دقيقة عن حركة الإسلام قبل الوجود المرابطي بالسودان الغربي و فتحه لمدينة غانة.

1. دور بربر صنهاجة في نشر الإسلام:

تكلم البكري عن القبائل الصنهاجية التي اعتنقت الإسلام في وقت لاحق حيث يصفهم بالضواعن رحالة في الصحراء مراحلهم مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان و بلاد الإسلام، و يصف بطونهم من الشرق كلمتونة، و ديار مسوفة و جدالة ، وذكر اتصالهم ببلاد التكرور³. و هو بذلك يرشدنا إلى موضوع مهم و هو أن بلاد السودان قد ارتبطت ببلاد المسلمين عن طريق صحراء صنهاجة و سكانها من اهل اللثام، و هو ما يجعلنا نفهم بان حركة الإسلام في غرب افريقيا لم تكن الا امتداد لانتشار الإسلام في شمال افريقيا رغم أن

1 وهنا يمكننا العودة إلى كتاب صورة الارض لابن حوقل، و كتاب المسالك و الممالك لكل من ابن الفقيه والاصطخري و غيرهم .

2 احمد الياس حسين، الإسلام في غانة من خلال كتاب البكري، مجلة دراسات افريقية، العدد الرابع، رجب 1409هـ/ مارس 1989م، ص63.

3 البكري، المصدر السابق، ص ص 164 و ما يليها.

الفتوحات توقفت عند تخوم السودان و لم تتوغل إلى الداخل¹. رغم الروايات التي تدعي بان عقبة بن نافع قد وصلت فتوحاته إلى نواحي تندوف و نول جنوب اغادير بالمغرب.

فانتشار الإسلام في بلاد السودان التي يعيدها البكري إلى القرن الرابع الهجري/10 ميلادي ووافقها فيها ابن ابي زرع²، قامت على أيدي زعما الصحراء من اهل اللثام و التي تكون قد حدثت عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يجوبون صحرائهم من اجل الوصول ذهب السودان و عبيدهم، أي بطرق سلمية.

لكن رغم ذلك فلقد بقيت هناك الكثير من جيوب الوثنية التي بقي زعيم صنهاجة المعروف بتارشني يحاربها و يجاهدها³، و حاربها أيضا حتى المرابطون بعد ذلك بحوالي قرن. و بالتالي مكننا كتاب البكري من فهم ظاهرة وجود إسلام سطحي في الصحراء ، و هو اسلام اختلط بالشوائب الوثنية و مظاهر عدم الالتزام بقواعد الشرع، و هو ما يفسر سبب اصطحاب زعيم جدالة يحي بن ابراهيم للإمام الفقيه الشيخ عبد الله بن ياسين، و سبب نفور اهل صنهاجة من دعوته فيما بعد.

2. دور السود في نشر الإسلام:

أن مجاورة صنهاجة لارض السودان فان ذلك يكون قد ساهم في نشرهم للإسلام في ارض التكرور حتى قبل مجي المرابطين، حيث يشير إلى أن بلاد التكرور كانت مسلمة، و أن ملكها واريباي كان على دين الإسلام، و انه وقف إلى جانب المرابطين عندما قامت حركتهم بعد ذلك، بالاضافة إلى استقرار بعض البربر في عاصمة غانة الوثنية منذ وقت

1 حول الفتوحات الاسلامية في شمال افريقيا و اقصى ما توصلت اليه ، انظر: ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا و الأندلس. دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.

2 ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) المتوفى سنة 726هـ: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس. . طبع و تصحيح و تحقيق:كارل يوحنا نورنبورغ. طبع في دار الطباعة المدرسية . أوبسالة . 1823م.

3 البكري، مصدر سابق، ص 164.

بعيد¹. كما انه يذكر لنا مدينة اودغست التي كانت اهم مركز تجاري سوداني و التي كان سكانها مسلمون فيها جامع و مساجد كثيرة أهلة في جميعها المعلمون للقرآن².

ولقد أمدنا البكري بمعلومات هامة تتمثل في الدور الذي لعبه حكام الممالك الاسلامية في نشر الإسلام و حملوا أهلها و من جاورهم على الإسلام حملاً، مثل ملك التكرور و ارديابي سابق الذكر و أيضا حاكم مدينة سلى المجاورة لها و التي اسلم أهلها على يدي و ارديابي و صاروا يحاربون الكفار الذين يلونهم³.

و بهذا فان كتاب البكري يكون قد أمدنا بمعلومات جد قيمة و غفلت عنها كل الكتابات الغربية و هي أن أهل السودان و التكرور خاصة يكونوا قد ساهموا في نشر الإسلام في بلاد السودان حتى قبل مجيء المرابطين⁴. و بالتالي يكون البكري قد أبطل نظرية من يقولون أن الإسلام لم ينتشر في بلاد السودان الغربي إلا مع حركة المرابطين و تحت وطأة السيف⁵، بل و اثبت بان أهل السودان تبنا حركة الإسلام و ساهموا في نشره بين رعيتهم و مجاورهم من الأقوام السودانية.

3. التعايش بين المسلمين و الوثنيين في بلاد السودان:

خلافا لكل الدراسات التي تريد أن تظهر المجتمع السوداني الوثني كأنه مجتمع منعزل على نفسه، شديد الكراهية و العداوة للمسلمين، و أن علاقة المسلمين بهؤلاء الوثنيين لا تعدو الا أن تكون مجرد علاقة تاجر يبحث عن الذهب و الرقيق، و بذلك يعتمدون في سبيل الحصول على ذلك على الغزو و الإغارة⁶، فان البكري قدم لنا صورة جديدة و لامعة

1 البكري، مصدر سابق ، ص176.

2 نفسه، 181.

3 نفسه، ص 172.

4 احمد الياس حسين، مرجع سابق، ص68.

5 عز الدين عمر موسى، دراسات اسلامية غرب افريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة ثانية، 2003م، ص 28.

6 . انظرا:Monteil(Charles):Les empires du Mali. Paris, 1968.

عن طبيعة التعايش و التجانس و الانسجام التي كانت قائمة بين المسلمين البربر و الحكام الوثنيين في غانة، حيث يتحدث عن ملك غانة الوثني تنكامين الذي يقول عنه انه كان محمود السيرة مرثدا للمسلمين، و انه كان يخصص للمسلمين مدينة هي بمثابة العاصمة الاقتصادية، حيث يوجد بها اثنا عشرة مسجدا و بها الأئمة و المؤذنون و الراتبون، و بها الفقهاء و حملة العلم، و حولها آبار عذبة يشربون منها، اما مدينة الملك فلم تكن تبعد عنهم الا بستة اميال فقط، و تسمى الغابة لانها موجودة في الادغال، و رغم انها كانت عاصمة الوثنيين الا انها كانت تضم مسجدا يصلي فيه من يفد على الملك من المسلمين. و جول هذه المدينة بيوت السحرة و عبدة الدكاكير و قبور ملوكهم¹.

ومن هنا يمكننا أن نقول بان البكري كشف لنا جانبا مشرقا من تاريخ العلاقات بين المسلمين و بعض ملوك افريقيا الوثنيين، بل و كشف لنا الصورة الطيبة التي يمثلها التجار المسلمين لدى ملوك افريقيا، و الثقة التي تبوؤوها لديهم إلى درجة أن ملك غانة كان يتخذ من الجالية المسلمة في بلاد وزرائه و كتابه و امناء خزينته².

ثانيا: ما مدى تاثر البكري بكتابات و روايات غيره:

اذا كان البكري في كتابه قد برز في تميزه و انفراده بعدد من المعلومات و الطرح الجديد، و كشفه لتفاصيل مجهولة في تاريخ انتشار الإسلام في السودان الغربي، و التي جعلته يكون السباق اليها كما ذكرنا، الا انه في جوانب اخرى من كتابه حمل مواضيع مكررة او روايات سبقه اليها غيره من المؤرخين، و بالتالي يكون قد تاثر بها او نقلها بدون تمحيص فنقلها اليها حرفيا.

فمن الروايات التي ذكرها البكري و تظهر التاثير الشيعي ما ذكره عن قبيلة مداسة الصنهاجية التي يقول انه اخبره احدهم بانه يوجد في منطقة بوغرات طائر يشبه الخطاف

1 البكري، مصدر سابق، ص 175.

2 نفسه، 177.

يفهم من صوته كل سامع ابهاما لا يشوبه لبس قتل الحسين يكررها مرارا ، ثم يقول بكريلاء مرة واحدة¹.

و من الروايات التي تبين تاثره بالروايات الاباضية و نقلها بدون تمحيص، رواية ذلك الرجل المسلم الذي زار ملك غانة و أن ارضه اجذبت لمدة سبع سنوات، فقدم اهل المملكة القرابين لالهتهم حتى كادوا يفنونها، الا أن طلب ملك غانة الوثني من هذا الرجل المسلم أن يدعو له إلهه، فاشتراط عليه هذا الاخير أن يكفر بجميع الهته، و انه يقر بوحدانية الله من ذلك فقال له أيها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته، واعتقدت شرائع الإسلام كلها لرجوت لك الفرج مما أنت فيه... ولم يزل به حتى اسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله مما لا يسع جهله، ثم استتاب به ليلة الجمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه المسلم ثوب القطن.... فقام المسلم يصلي والملك يؤمن فما انفجر الصباح إلا والله قد أعمهم بالسقي، فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته وأهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم مذ ذاك بالمسلماني².

وتشير نفس النصوص الاباضية إلى النشاط الكبير لأهل دعوتهم في جنوبي الصحراء الكبرى، وقد وردت الكثير من الأسماء لفقهاءهم بغرب إفريقيا في القرنين الثالث والرابع للهجرة/9 و10 للميلاد³. لذلك تمكّن الاباضية من تجار وفقهاء من تقوية اتصالاتهم بغرب إفريقيا منذ القرن الثاني للهجرة⁴. ولعل كثير من تلك المناطق قد اعتنقت الإسلام على يد

1- البكري، مصدر سابق، ص182.

2- نفسه، ص 178

3- الدرجيني(أبو العباس أحمد بن سعيد):كتاب طبقات المشايخ بالمغرب. تحقيق:إبراهيم طلاي،مطبعة البعث،

الجزائر،دون تاريخ،جزء 2، ص 137.

1-يذكر ابن الصغير بأن الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب قد أوفد سفيرا إلى ملك السودان يدعى محمد بن عرفة حاملا معه هدية (ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق و تعليق: إبراهيم بجاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص 81)

الإباضية منذ ذلك الوقت، فلقد لاحظ ابن بطوطة لما زار مالي خلال القرن الثامن للهجرة/14م، في قرية ونجراتة (ونغارة) سكان من البيضان يتبعون المذهب الإباضي، ويسمون أنفسهم صغنغو¹.

ولقد امتاز هؤلاء التجار بحسن أخلاقهم ومعاملاتهم طيبة، مما جعلهم يتقربون من الأمراء والملوك ويكسبون ودهم. لهذا فيمكن أن نقول بأن ملك مالي المدعو المسلماني أو برمندانة يكون قد دخل الإسلام بدعوة من أحد الدعاة التجار الإباضية كان ضيفا عنده، خاصة وأن الدرجيني ترك لنا نصا يروي قصة مطابقة لتلك التي رواها لنا البكري² وبالتالي يمكن أن نقول بأن الأمر يتعلق بنفس الحادثة، ولكن يبقى الاختلاف الوحيد بين الروايتين هو هوية الشيخ الإباضي الذي لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال علي بن يخلف، وذلك لأن هذا الشيخ قام برحلته إلى بلاد السودان عام 575هـ/1180م، بينما قام البكري برواية قصته تلك في أواخر القرن الخامس للهجرة/11م، على اعتبار أنه توفي سنة 487هـ/1094م، أي أن الحادثة تكون قد حصلت في منتصف القرن الخامس للهجرة، وهو التاريخ الذي حدده

2- ابن بطوطة: الرحلة. دار صادر، بيروت، 1412هـ/1992م، ص 680.

3- يذكر الدرجيني بأن أحد شيوخ الإباضية وهو "علي بن يخلف" سافر إلى غانة سنة 575هـ/1180م، وانتهى إلى مدينة مالي فأكرمه ملكها غاية الإكرام، وكان هذا الملك مشركا وتحت مملكة عظيمة كل أهلها مشركون، وتحت اثنا عشرة معدنا يستخرج منه الذهب التبر، فكان الملك قلما يجلس مجلسا إلا أجلسه معه إكراما له، وكان يتعجب من خلقه و خلقه وكثرة عبادته، ومحافظته على دينه، وكان ذلك في سنة قحط شديد فشكت الرعية ما أصابهم إلى ملكهم، فأمرهم بالاستسقاء فجعلوا يستسقون ويتقربون بقربانهم التي يعتادونها في ملتهم، وذبخوا أنواع الحيوان من البقر والغنم والحمير فلم يسقوا، فقال الملك لعلي: ألا تدعو إلهك الذي تعبد به أن يسقينا؟ فقال له: لا يسعني ذلك و أنتم تكفرون به و تعصونه، وتعبدون غيره. فإن آمنتم به... وأطعمتموه فعلت ذلك ورجوت أن يسقيكم. فقال له الملك: علمني الإسلام وفرائضه حتى أتابعك عليه، وتستسقي لنا. فعلمه كيف يقر بالشهادتين فعلمهما، ثم قال إصحبني إلى نهر النيل(النيجر) ففعل، وعلمه الصلاة فباتا ليلتهما في الصلاة والعبادة، فلم يكد يحل عليهما الصبح حتى حالت السيول بينهما وبين المدينة، حتى ركبا زورقا، ودامت الأمطار سبعة أيام لم ينقطع فيها ليلا أو نهارا، فأمن الملك ودخل الإسلام، ودعا أهله إليه فأجابوه، ثم دعا رعيته فأجاب أكثرهم.(طبقات المشايخ، ص ص 137، 138.)

دولافوس لهذه الرحلة. كما أن المصادر الاباضية التي جمعها المؤرخ ريموند موني (R.Mauny) تبين بأن الشيخ أبا نوح سعيد بن يخلف، وهو من علماء النصف الأول من القرن الخامس للهجرة/10م قد اشتهر كثيرا بأسفاره إلى غرب إفريقيا. وهناك روايات رواها كل من "المازغني السوفي" و"الشمخي" تضمنت الإشارة إلى سفر الشيخ أبي يحيى بن القاسم الفرستائي إلى السودان، وإسلام ملكهم على يده، وكان سفره في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة/10م¹.

و عموما يبقى البكري مصدرا مهما من المصادر الخاصة بتاريخ انتشار الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء.

(2)الياس احمد،دور فقهاء الاباضية في إسلام ملوك مالي . نبيلة محمد حسن:المرجع السابق، ص 155

خاتمة

خاتمة

أفضت دراسة انتشار الإسلام في السودان الغربي من خلال مصنف البكري إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :

1/ إن المادة التاريخية التي وصلت للباحثين عن منطقة غرب إفريقيا في مصنف البكري ماهي إلا نتيجة لمساهمته في التأريخ للدولة المرابطية كدولة إسلامية قوية، استطاعت بسط نفوذها على بلاد السودان الغربي و المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري.

2/ هذه المعلومات ساهمت في اثراء البحوث التاريخية المتعلقة بانتشار الإسلام في المنطقة، خاصة و ان مستوى هذه البحوث و قيمتها العلمية قد ارتبط بما تتوفره المكتبة من مادة علمية لجمعها.

3/ سمح الإتصال الحضاري بين دول المغرب الإسلامي و السودان الغربي بنشر الإسلام خاصة زمن المرابطين ، الذين حملوا مسؤولية نشره بتزعم رجالها الحركة الجهادية في جنوب الصحراء والتي دعت إلى تصحيح العقيدة في قلوب الناس و تعميق ماكان سطحيًا منها، فتمكنوا من توسيع مدى انتشار الإسلام انطلاقًا تخوم الصحراء ، وممرورا بمناطق الساحل إلى المنطقة الإستوائية ، و هذا الإنتشار تحكمت فيه عدة عوامل أهمها تطور العلاقات بين السودان الغربي خاصة على مستوى الإقتصاد و السياسة.

4/ الوعي المبكر لدى ملوك السودان الغربي و شعوبه بعمق الرسالة المحمدية ، و قد ظهر هذا من خلال المعاملة التي أظهرها الملوك للمسلمين و مثال ذلك مدينة غانة التي خصصت فيها مدينة للمسلمين و بنيت فيها المساجد.

5/ أدى إعتناق الحكام للدين الإسلامي في السودان الغربي عن طريق الدعاة المسلمين إلى توسيع مده بين الرعية ، و هذا بدوره ساهم في توسيع دائرته في المنطقة، وبالتالي وصلت الدعوة إلى كامل شرائح المجتمع سواء الطبقة الحاكمة أو المحكومة و قد تجسد لاحقًا حين أصبح الإسلام جزءًا من مظاهر الحضارة في ممالك إفريقيا الغربية .

6/ و أخيرا هذه الدراسة كانت ضمن الدراسات التي أكدت على فكرة عدم العزلة الثقافية و الدينية لمجتمعات السودان الغربي، فهذا المجتمع كغيره من المجتمعات له خاصية التأثير و التأثير ، و لمسنا هذا حين نجح المسلمون سواء كانوا دعاة أو تجار بالتأثير فيهم بأخلاقهم و معاملتهم إذ حرصوا كل الحرص بتبليغ دينهم و كانت النتيجة اعتناق شعوب السودان الغربي لهذا الدين .

القائمة البيليوغرافية

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

اولا المصادر:

1. أبي (زرع علي الفاسي)، الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط 1972،
2. الإدريسي، المغرب وارض السودان ومصر والأندلس ماخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، طبع في مدينة ليدن ابريل.
3. بسام ابي الحسن علي بن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدراني، دار الكتب العلمية بيروت، 1998، ج2،
4. بشكوال، كتاب الصلة، ت، ح، ابراهيم الهواري، دارالكتب المصرية، ج1، ط1
5. ابن بطوطة: الرحلة. دار صادر، بيروت، 1412هـ/1992م،
6. الحموي ابو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار الصادر بيروت، الجزء 3، دون طبعة
7. الخطيب، الحلل الموشية في إخبار المراكشية، دون تاريخ، دون جزء .
8. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب طبقات المشايخ بالمغرب. تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، دون تاريخ، جزء 2.
9. الزركلي خير الدين، قاموس تراجم لاشهر رجال و نساء من عرب و المستعربين و المستشرقين، دار العلم، ج2، ط15، 2002 .
10. السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان، طبعة هوداس ودولافوس، باريس، 1981
11. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين. تحقيق و تعليق: إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
12. ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا و الأندلس. دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م.
13. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق حسان عباس، دار الثقافة لبنان، ج4، ط3، 1983.
14. لقزويني، آثار البلاد واخبار العباد، د. ط .

15. القلقشندي ابي العباس احمد،صبح الاعشى،دار الكتب الخديوية،ج5،مطبعة الاميرية القاهرة،1915 م
16. لناصرى،الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى،ت،ح،جعفر الناصري،ج،2،دار الكتاب الدار البيضاء،1954،
17. محمود كعت،تاريخ الفتاش،طبعة هوداس ودولافوس
18. المغربي ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، المكتب التجاري للطباعة و النشر بيروت، ط1، 1970
19. الوزان حسن،وصف افريقيا،ترجمة محمد حجي،محمد اخضر ،دار الغرب الاسلامي،ط2

ثانيا:مصادر باللغة الاجنبية

1Monteil(Charles):Les empires du Mali. Paris, 1968

ثالثا :المراجع باللغة العربية

1. ارسلان شكيب،الحلل السندسية في اخبار والاثار الاندلسية،ج1.
2. تقي الدين الدوري،خولة شاكرالدجيلي،تاريخ المسلمين في افريقية،هيئة ابو ظبي،ط1،دار الكتب الوطنية،2014.
3. جابر بن زيد،سالم بن ذكون الهلالي،الفكر السياسي الاباضي، ط1، ج2.
4. دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الاسلام،تحقيق ونشر ابي بكرين العربي ،دار العرب الاسلامي ،ط1 1988.
5. اسامة محمد حسين، دولة الموحدين تاسيسها ونشأتها، دار الكتب العلمية .
6. طرخان ابراهيم،امبراطورية غانةالاسلامية،الهيئة المصرية للتأليف والنشر،وزارة الثقافة.
7. علي بن محمد بن سعيد الزهراني،الحياة العلمية في صقلية ،اصدارات مركز البحوث العلوم الاجتماعية، ام القرى 1996 م .
8. علي محمد الصلابي ،فقه التمكين عند دولة المرابطين ،مؤسسة اقرا للنشر وترجمة ط1.

9. الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء، جامعة قاريونس، كلية اداب، قسم التاريخ، ط1 .
10. القامري، محمد بشير الراضي، تاريخ بلد الاندلس في العصر الاسلامي، جامعة بغداد.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1. نور الدين شعباني، دور عائلة كايثا في مملكة مالي وعلاقتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع هجريين، اطروحة لنيل شهادة دكتوراة تحت اشراف عبد العزيز بوكنة، 2013
2. محمد امين بلغيث، الربط بالمغرب الاسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي جامعة الجزائر من اشراف عبد الحميد حاجيات، 1986م

رابعا الدراسات

1. نياني، مالي والتوسع الثاني للماندينغ، تاريخ افريقيا العام، بيروت، ج4
2. عز الدين عمر موسى، دراسات اسلامية غرب افريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة ثانية، 2003م.
3. احمد الياس حسين، الإسلام في غانة من خلال كتاب البكري، مجلة دراسات افريقية، العدد الرابع، رجب 1409هـ / مارس 1989م.
4. عدة، جهود عبد الله بن ياسين في تكوين العصابة الدينية المرابطية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، عدد 2، جامعة نواكشوط.

خامسا: الموسوعات واطالس

1. محمد حسن حتاملة، موسوعة الديار الاندلسية، المكتبة الوطنية، عمان، ط1
2. حسين المؤنس، اطلس تاريخ الاسلام، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، ط1 .

فهرس المحتويات

البسمة

الاهداء

الشكر

الملخص

المقدمة.....ص1

الفصل الاول: تعريف بابي عبيد الله البكري

مولده ونسبه.....ص8

اسرته ونشأته.....ص8

شيوخه.....ص10

تلاميذه.....ص11

تعريف بكتاب البكري.....ص12

مؤلفاته.....ص12

منهجه.....ص14

صفاته وبعض الاراء المؤرخين فيه.....ص17

الفصل الثاني: ماجاء في كتاب البكري حول الاسلام في السودان الغربي

دور المرابطين في نش الاسلام.....ص20

الاسلام في التكرور.....ص29

الاسلام في غانة.....ص32

الاسلام في مالي.....ص38

قائمة الفهارس

الفصل الثالث: نقد وتقييم مآذكره البكري

مآتميز به البكري عن غيره.....ص43

دور برير صنهاجة في نشر الاسلام.....ص44

دور السود في نشر الاسلام.....ص45

التعايش بين المسلمين والوثنيين.....ص45

مآمدى تأثر البكري بكتآبات وروآيات غيرهص46

الخآمة.....ص51

القآمة البيبليوغرافية.....ص54